ضل حيطة

"قصص قصيرة "

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني محفوظة للناشر.

قصص قصيرة: ضل حيطة.

الكاتبة: رانية البشبيشي.

الطبعة الأولى: مايو 2018

رقم الإيداع: 28553 / 2018

الناشـــر:

"دار أدباء 2000 للنشر والتوزيع"

المدير العام: **منة عامر** Mobile: +2 01099654718

E.mail: **Odabaa2000@gmail.com**

Website: **http://entashaaer.wix.com/odabaa2000**

Facebook: **https://www.facebook.com/Odabaa2000**

تصميم الغلاف: **محمد علي.**

تصحيح لغوي: **أحمد عبد المنعم.**

جميع الحقوق @ 2018 محفوظة للناشر

"دار أدباء 2000 للنشر و التوزيع"

يمنع منعاً باتاً بدون إذن خطي معتمد من الناشر:-

نسخ أو إستعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيهاالتسجيل الفوتوجرافي و التسجيل على أي أشرطة أو أقراص صلبة أو مرنة مقروءة أو النشر عبر الإنترنت أو أي برنامج إلكتروني أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها أدوات حفظ المعلومات و إسترجاعها.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **"دار أدباء 2000 للنشر و التوزيع".**

ضل حيطة

قصص قصيرة

رانية البشبيشي

مقـــدمـــة

إلى ينبوع الحياة

إلى كل امرأة وفتاة مفعمة بالعطاء والحنان، وقوية بالصبر والجلد,

وضعيفة بالأنوثة الطاغية.

إلي كل أم رؤوم ..

وزوجة حنون ..

وأخت عطوف ..

وابنة حانية.

إلي كل امرأة بدونها ما عُمِّرتْ بلادٌ ولا قامت أممٌ ، ولا تدفأت بيوت، ولا تألق أزواج، ولا كبر أبناء ، ولا شبَّ رجالٌ، ولا قويت سواعدُ، ولا بُنِيت جيوشٌ ، ولا استمرت حياة.

فأنت أيتها المرأة أرضٌ يُبنَى عليها كل شئ.....

مع خالص تحياتي

رانية البشبيشي

الدنيا ريشة في هوا

إستيقظت ندى مبكراً رغم انها كانت في اجازة. كانت الساعة السابعة صباحاً. هى لم تنم طول الليل. كانت فى قمة القلق. تملكها شعور غريب. هو في الحقيقة مزيج من القلق، و التوتر، و السعادة في نفس الوقت. في الواقع امامها يوم طويل و شاق, و لكنه لذيذ و مثير في نفس الوقت. إنه يوم طالما انتظرته ,و حلمت به , و أعدت له. إنه يوم انتقالها هى و زوجها و ولديها االي بيتهم الجديد. في الواقع هو بيتهم الأول كعائلة صغيرة و مستقلة. إنه البيت أو المملكة الصغيرة التى طالما تمنتها و حلمت بها منذ أول يوم زواج. لأول مرة ستستقل ندى و تصبح سيدة المنزل.

مشكلة زواج ندى أنها قبلت الزواج في شقة حماتها. كانت تحب حسن زميل أخيها في الجامعة . تمنت أن يكونا معا أسرة صغيرة, و بيتاً دافئاً يعيشا فيه معا. لكن الواقع لم يكن بهذه الرومانسية. فلم يتمكن حسن من تأسيس شقة مستقلة. و قبلت ندى الزواج و الحياة معه في شقة والدته. إعترضت ام ندى و اعترض أبوها فندى فتاة جميلة لطالما حلمت امها بيوم زفافها. و تخيلت شعرها الأسود الطويل لامعاً, كسواد الليل من تحت الطرحة البيضاء, و بريق عينيها الزرقاوان يضئ وجهها كنجوم السماء. فَلما تقبل ندى التي طالما طرق بابها الخُطاب بمثل هذا العريس؟ لكن ندى أصرت و اقنعتهم، فهى تحب حسن, و لا تستطيع الحياة بدونه ، ثم أنها تثق فيه ثقة شديدة, و تعلم إنه الوحيد القادر على إسعادها. و قد وعدها أنه سيعمل جاهداً حتى يوفر لها حقها في أن يكون لها بيت خاص بها, ترتبه كيفما تشاء، تنظفه ، تزينه ، تفرشه و تسعد به و فيه.

لكن الواقع كان مختلفاً و الحياة صعبة و حسن لم يفِ بوعوده. ندى لا تعلم إن كانت المشكلة في حسن , ام في الظروف, ام فيها هي شخصياً. هل أخطأت الاختيار؟ هل كان يجب أن تستمع لنصيحة والديها؟ ام هل الظروف قد ظلمت حسن؟

لقد تحول حسن االي شخص آخر. إنه ليس زميل أخيها الخلوق و زوجها الحبيب. إنه شخص محبط ، فاشل و كسول . لا يستمر في أى عمل أكثر من بضعة أشهر. دائم التأخير عن مواعيده, غير ملتزم , و غير شاعر بأى مسئولية. لقد أكتشفت ندى إنه شخص مدلل و غير مسئول. لقد أفسده تدليل امه له . فهو و لدها الوحيد و ثبت أنها لا تريد أن تبعد عنه. فهى لم تشجعه على الزواج. و لم تحثه على بناء بيت، بل على العكس. فإنها كانت دائما تحبط أى محاولة لشراء شقة زوجية لندى و حسن. و كانت تصر أنه ليس هناك ما يضطرهم لذلك فهم يعيشون معززون مكرمون في منزل العائلة. و في الواقع فانهم كانوا فعلاً يعيشون حياة تكاد تكون سهلة. فهم لا يتحملون الأعباء المادية

وحدهم و والدة حسن تتحمل جزء كبير من المصاريف. لكن المشكلة إنهم لم يكونوا يعيشون في منزل العائلة و إنما في منزل والدة حسن فهي الامر الناهي, و هي تدير المنزل . و كل شئ يتم وفقا لرأيها و ذوقها. فهى ترتب الأثاث, و تعد الطعام, و تنظف المنزل مع الخادمة, و تعمل كل شئ و كأن ندى ليست سوى ضيفة, لم تشعر ندى يوما أنه بيتها, لم تشعر بالإستقلال ، لم تشعر بالدفء , لم تشعر بكيانها كزوجة و ام . إن حماتها لا تسئ معاملتها أبدا لكنها فقط تعتبرها جزء من أثاث المنزل, فلا رأى لها, و لا دور لها, و حسن ليس له أى دور هو الآخر, و والدته تكاد تشجعه على ترك كل عمل يلتحق به . فهذا عمل لا يليق بك , و ذاك لا يتناسب مع مؤهلاتك ، و هذا المدير يكرهك ، و ذاك الزميل يشعر بالغيرة تجاهك و هكذا و هكذا . و هى تمسك زمام الامور, حتى تحول حسن االي إنسان شبه عاطل ,لا يجيد شئ و, لا ينجح في شئ بل و يشعر بالغيرة من نجاح زوجته. إن ندى ناجحة , فهى مدرسة ناجحة في إحدى المدارس الدولية الشهيرة . ثم أنها لاعبة كرة سلة محترفة و تنتمي االي المنتخب . بل هي كابتن المنتخب و هى في نفس الوقت رسامة موهوبة جداً . يشهد لها الجميع بذلك. و قد بدأت في بيع لوحاتها الزيتية الأنيقة و التي طالما سهرت الليالي تستمتع برسمها, و تضع كل كيانها و مشاعرها في كل خط تخطه فيها, و كل لمسة تضعها, و كل لون تختاره .

اما حسن فتشتد غيرته من زوجته, و من نجاحها , و بدلاً من أن يفتخر بها أو يشجعها فإنه دائم الإنتقاد و التأنيب لها و التقليل من شأنها. بل أنه بدأ أيضاً يستمتع بكل لحظة من هذه اللحظات. إنه يبدو و كأنه يتلذذ بالتقليل مما تعمله أو باللعب على أوتارها الحساسة, و هى كثيرة , فندى فنانة مرهفة الحس, و إنسانة رقيقة.

إنها لن تنسى عندما دعته لأول مرة بعد الزواج ليشاهد مباراة المنتخب النهائية. لقد كانت ندى بحق هى نجمة المباراة , فقد وفقها الله في تسديد الكرة , و في الحصول على نقاط كثيرة لفريقها حتى تكلل تعبها بالنجاح , و إنتهت المباراة بفوز ساحق لفريقها. كانت ندى في أروع حالتها. كانت روحها المعنوية مرتفعة جداً. كانت تشعر بقمة السعادة لأن حسن يشاهد المباراة ضمن المشجعين و قد نجحت في أن تجد له مكان في المقصورة. فهى كابتن المنتخب, و هى بالفعل أحسن لاعبة. لكنها تستمد قوتها في هذه المباراة من وجوده, فهى تسمع صوته يعلو على أصوات المشجعين جميعا و تشعر, بنظراته تتابعها, و تشجعها, و تفتخر بها, و هو يكاد يقول للجميع هذه زوجتي و حبيبتي.

و إنتهت المباراة و الصفير و التشجيع و التكريم، لكن الإثارة و السعادة لم ينتهيا ,و توجهت ندى بعد المباراة مسرعة االي حسن و نظرت في عينيه بسعادة و فخر و انتظرت...

- مبروك

قال حسن بإقتضاب.

- مبروك بس.

ردت ندى .

- ممكن تسلم عليا و تبوسني ، متتحرجش.

- بس أنا مش محرج على فكرة.

- أومال في إيه.

- و لا حاجة. أنا بس مستغرب.

- من إيه ؟

سألت ندى بتعجب.

- مستغرب من نتيجة الماتش.

- قصدك إيه ، مش فاهمة.

تعجبت ندى مرة أخرى.

- قصدي إن فرقتكم أدت أداء ضعيف و غريب و من عجائب القدر إن الماتش خلص بفوزكم رغم فرق الأداء الملحوظ جدا بين الفرقتين.

كانت صدمة ندى شديدة, و كأن أحداً أسكب عليها ماءً مثلجاً, لم تدري ماذا تقول.

- بس إزاي ؟

سألت مصدومة.

- معرفش بس هى دي الحقيقة.

- بس أنا لعبت ماتش متميز, و الناس كلها اجمعت على كده, و كمان فرقتنا كانت في قمتها و أحسن حالتها و كل الجمهور كان بيشجعنا.

إعترضت ندى و هى تغالب شعورها بالإحباط و الضيق.

- شكلك مش متعودة إن حد يقولك الحقيقة. هما بس بيجاملوكم علشان الفرقة كسبت الماتش. الماتش بتاع النهاردة ده ملهوش أي علاقة بالرياضة. و بعدين أنا محستش إن أدائك كان متميز بأى شكل. عامة مبروك. حُاستناكي في العربية.

هكذا تركها حائرة ، محبطة و مصدومة. ما هذا الذى حدث و لما يصر حسن على التقليل من شأنها. هل هذه هى الحقيقة ؟ هل يجاملها الجميع ؟

هكذا سرق حسن فرحتها, و حرمها من الإستمتاع بلحظة الإنتصار و الفخر. و كانت هذه هى البداية, فرويدا بدأت تفهم أن حسن لا يفتخر بها , بل و يشعر بالغيرة من نجاحها, و لذا فهو يميل دائما الي التقليل منه, خاصة إنه ثبت مع الوقت أنه لا ينجح في شئ .

قررت ندى ألا تكرر ما حدث. فإن كان نجاحها الرياضي يؤرقه فلا داعي لأن يشارك فيه أو يشاهده, و لتحترم شعوره, و لا تدعوه لمشاهدتها مرة أخرى و هى تلعب كرة السلة, فالحياة أبسط من ذلك. و في ميعاد المباراة التالية لم تدعوه ندى ، لكنها فقط أخبرته أنه يوم المباراة النهائية مرة أخرى. و لم يبد حسن أى إهتمام أو أى رغبة في الحضور. لكن الغريب أنه فتح التلفاز, و بحث عن قناة الرياضة ,و اختار أن يشاهد مباراة نسائية أخرى في كرة السلة.

- مهم الماتش ده ؟

همست ندى.

- طبعا و الأهم منه هو طريقة اللعب. هو ده الفن الحقيقي و هى دي الرياضة.

- طبعاً.

- بصي كده على أجسامهم الرياضية و اللياقة البدنية الشديدة و إزاي بيجروا زي الغزلان و يشوطوا الكرة بقوة . هو ده اللعب اللي على حق و هي دي كرة السلة الحقيقية.

- طبعاً مستواهم عالي جداً.

حاولت ندى أن تتجاهل نبرة السخرية و الإستفزاز الواضحة في صوته.

- لو متعرفوش تلعبوا بهذا المستوى يبقى بلاش اللعب أحسن.

جاءها التعليق واضح و غير قابل للتجاهل.

- إحنا بنعمل اللى نقدر عليه و إن شاء الله ربنا معانا.

قالت محاولة أن تنهي هذا الحديث المستفز.

- "إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً."

ذكر حسن الآية بقوة.

- بس إنتوا مش بتحسنوا عملكم. و مافيش مقارنة بينكم و بين الفرقة دي.

- إحنا بنعمل بجد و اجتهاد وبنتمرن ليل و نهار و وصلنا فعلا للنهائي. عايزنا نعمل أكتر من كده إيه؟

- و لا حاجة ، و لا حاجة، مش هتفهمي. و يكون في علمك إن إنتوا مش هتكسبوا ماتش النهاردة علشان كده أنا مش ناوي اتفرج عليه.

- حرام عليك

صاحت ندى ....

ده بدل ما تشجعني.

-أشجعك على ايه؟ أنا عايزك تشوفي الامور بوضوح و تستعدي نفسياً. إنتوا بتلعبوا فرقة من أقوى فرق أفريقيا و الفرق بينكوا واضح فمتضيعيش وقتك و تقبلي اللي هيحصل .

- أرجوك كفاية . أنا مؤمنة بربنا و عارفة إنه مش حيخذلنا. كفاية. حرام عليك. أنا نازلة.فعلا الكابتن معاه حق أنا غلطانة إني بأخد إذن من المعسكر و آجي بس كان لازم علشان العزاء بتاع امبارح.

أنهت ندى الحديث و قد أصيبت بكم من الإحباط و الغضب لا تستطع التخلص منهما.

و تتذكر ندى أنها نزلت الملعب و الخوف يسيطر عليها. و لكن ما أن امسكت بالكرة حتى إستعادت روحها العالية و ثقتها و لعبت مباراة جميلة انتهت بفوز فريقها . و عندما عادت االي المنزل لم تجد حسن, و عندما تقابلا في اليوم التالي, بعد مواعيد عملهما, لم يتطرقا االي هذا الموضوع.

و تمر الأيام, و يرزقا بأحمد, طفلهما الأول, و تتمنى ندى لو أن ذلك يصلح من حال حسن و يهدئه. لكن شيئا لا يتغير, و يستمر حسن في محاولات احباطها المستمرة, و التقليل من شأنها, بل و يزيد الامر سؤا بعد أن يرزقا بطفلهما الثاني زياد. فمسئولية ندى تزيد, فهى بين العمل و التمرين و الأولاد ,و حسن لا يشعر بأي مسئولية تجاه أحد ,غير نفسه, و امه تدلله, و تساعد على إفساده, و على عدم تحمل المسئولية. و ندى أصبحت كثيرة التوتر. تنوء بحملها و لا تتمتع بأي خصوصية. و حسن لا يحترم مشاعرها المرهفة و حساسيتها المفرطة. بل انه مستمر في اللعب على أوتارها الضعيفة و كأنه يستمتع بالضغط عليها و باللعب على أعصابها في كل مناسبة كي تفقد ثقتها بنفسها .

و عندما مرض أحمد إبنها الكبير, و إستيقظ في منتصف الليل باكياً, و سمعت ندى صوت حشرجة في صدره, جرت االي حسن توقظه.

- فيه إيه؟

- أحمد تعبان

- قالت متماسكة

- أسمع صوت حشرجة و أعتقد إننا لازم نوديه المستشفى.

- بس بس. هو إنتي دكتورة ولا ايه؟

رد ساخراً

- خليني اشوف معاكي.

و يستمر أحمد في البكاء و يستمر نفسه في الحشرجة.

- إديله الدواء اللي كتبهوله الدكتور.

امر حسن بحزم.

- أخذه و مش شايفة إن الحالة بتتحسن.

- نستنى شوية.

- إستنيت و الله العظيم. و مش هقدر أستنى اكتر من كده.

- إنتي دائما متسرعة و مش بتستحملي أي حاجة كده. أنا مش فاهم إزاي تكون كابتن المنتخب إنسانة ضعيفة كده. لك الله يا مصر.

- ده مش وقت المنتخب

صاحت ندى

- الولد تعبان جداً و أنا مش قادرة استحمل كده.

و يتركها حسن, و يذهب االي غرفته, و تستمر حشرجة أحمد, و يزيد قلق ندى و تحترق أعصابها، و تزيد الحشرجة و يقوى التوتر، و يتفاقم القلق، و حسن في هدوء شديد, و كأنه يستلذ بقلقها.

- حسن أرجوك كفاية. لازم نروح للدكتور.

- مصرة على كده يعني؟

- أرجوك.

رجته ندى

- حاضر حاضر. سبيني أغير هدومي ولا عوزاني أنزل بالبيجاما؟

تنفست ندى الصعداء, و غيرت ملابسها في ثواني, و ذهبت لتخبر ام حسن إن زياد نائماً في فراشه, و إنهم ذاهبون االي المستشفى, و تعاطفت معهما حماتها. و طمأنتها أنها لن تنام حتى يرجعا. و جهزت ندى احمد و ذهبت لتنادي حسن وجدته مازال بالبيجاما.

- ملبستش هدومك كل ده؟

إحنا جاهزين.

قالت محاولة التحلي بالهدوء.

- يعني أعمل ايه؟ إستني شوية لازم أحلق ذقني.

- إيه؟

صرخت ندى.

- أحلق ذقني. مسمعتيش؟ و لا أنا باتكلم لغة تانية؟

- و هو ده وقت ذقن؟

- آسف أنا لا يمكن انزل بالمنظر ده.

- الولد تعبان .

صاحت ندى.

- مفيش وقت احنا في نص الليل و محدش حيشوفك.

- بس أنا شايف نفسي.إسكتي شوية.

و سكتت ندى و أخذت تتابعه, و هو يذهب االي الحمام ,و يضع جل الحلاقة ,قليلاً, قليلاً, ثم يقلب في امواس الحلاقة, فهذا قديم ,و ذاك لا يصلح, ثم أين الموس الجديد؟ إنه احسن واحد. و الدقائق تمر, و ندى لا تصدق, و أعصابها تحترق.

و أخيراً إنتهت الحلاقة, و بدأت رحلة البحث عن الملابس المناسبة. و الوقت يمر ببطء, و الحشرجة مستمرة, و ندى تحترق, و حسن يستمتع بكل لحظة و كأنه يستنشق عبير إحتراقها, فيستمد منه قوة و راحة.

و أخيراً ,و بعد عناء المستشفى ,و الطبيب, و العلاج, تحمد ندى ربها على تحسن حالة أحمد, و تسهر بجانبه طوال الليل في المستشفى, و حسن يتابعها بمنتهى الهدوء حتى يعودا االي المنزل في الصباح الباكر, و قد تحولت ندى االي كتلة من الأعصاب المحترقة.

و تمر الأيام على هذا المنوال و ندى لا تدري ماذا تفعل. لقد أصبحت شديدة العصبية و فقدت الكثير من رومانسيتها و هدوؤها . و حسن يدرك أن أعصابها لم تعد تحتمل, و يستمتع بذلك, و كأنه يستعذبه.

و تفكر ندى في الحل. و تقرر عمل شئ, و تصل االي أن أحد الحلول هو إنتقالهم االي بيت مستقل كما وعدها حسن في بداية علاقتهما.

فربما إذا ابتعد عن امه تعلم تحمل المسئولية, ربما إستمر في وظيفة , إذا لم يجد من يهون عليه الامر, و يسليه كل صباح, ربما إذا وجد نفسه وحيداً في الصباح عرف قيمة النزول و العمل. ربما يزيد شعوره بالمسئولية الملقاه على عاتقه بدون مساندة صريحة من امه, و ربما شعرت هى أيضا بالخصوصية و الإستقلال. إن هذا الحل بالتأكيد سيحسن الامور. و كما توقعت ,فلم يكن الامر سهلاً , فالجميع يقاومون , ام حسن لا تريد أن تعيش وحدها ,و تتخلى عن إبنها. و حسن لا يرى داعي لذلك, فهى مصاريف و تعب و وجع دماغ بلا داعي. لكن ندى تصر, و تحارب, و تجاهد مع النجار و السباك و الكهربائي و باقي العمال, و تتحمل إحتراق أعصابها كل يوم بل كل دقيقة ,ما بين العمل و التمرين و الأولاد و الشقة و العمال, و هدوء بل برود أعصاب حسن و إستمتاعه بمشاهدتها و هى تحترق, لكن كل شئ يهون في سبيل هدفها, و كل التعب يهون عندما تجهز الشقة .و يأتي اليوم الموعود, و تستيقظ ندى باكراً متفائلة و مبتسمة و شاعرة بالامل. إنها تعلم أن الشقة الجديدة ليست أحسن شئ, فهى بعيدة قليلاً, في أطراف الشيخ زايد, و ليست في كومباوند كما كانت تحلم, لكنها في عمارة جديدة, و تطل على شارع واسع. عيبها هو أن العمارة لم تسكن بعد . فكل الشقق خالية. فصاحب العمارة بناها لاولاده, و لم يبع سوى شقة واحدة فقط. لكن هذا عيب مؤقت. فسرعان ما سيبيع الشقق الأخرى, و ستسكن و ستمتلئ العمارة بالسكان. فلتستمتع الآن بالهدوء و السكون و النظافة, و لا تتعجل الامور, و لتحمد الله أنها تمتلك سيارة خاصة أهداها إليها والدها بعد ان رزقت بطفلها الاول. و المدرسة التي تشتغل بها و يذهب اليها الاولاد ليست بعيدة على الإطلاق. و سوف يجد حسن عملاً جديداً مثل كل مرة. فيجب

أن تعترف أن مظهره و وسامته و ذكاءه الواضح يساعدونه على ذلك. و ستتحسن الحياة. فلتبدأ يومها بالإبتسام.

****

حان وقت الرحيل, و كل شئ جاهز, و ندى و الأولاد في قمة الشعور بالإثارة و السعادة, و حسن متأخر كالمعتاد ,و لكن ندى لن تسمح لشئ بأن يعكر صفو يومها ,ثم أنها اعتادت على ذلك.

ذهبت لتودع حماتها و تشكرها على إستضافتهما الطويلة لهم, فهى و للحق لم تقصر في أي شئ.

-أشوف وشك بخير

بادرتها ندى و هى تحاول تقبيلها.

أشاحت المرأة بوجهها الحزين و لم تستطع أن تداري امتعاضها و هى تقول:

- مع السلامة و إن كنت مازلت لا أرى داعي لكل ذلك. تعب و مصاريف و قلة راحة على الفاضي.

- معلش هو شئ لابد منه.

- و ليه لابد منه. ماكنا عايشين و مبسوطين و أنا عمري ما قصرت معاكم.

- طبعا و الله أعلم ذلك.

ردت ندى بصدق.

- و لكن الأولاد كبروا و إحنا تعبناكي كتير و بجد كفاية كدة.

- أنا عمري ما إشتكيت

قالت الام بحسرة.

- طبعا يا طنط. إنتي ست الكل و خيرك علينا، أحمد عمره 10 سنوات و زياد 8 و لازم يحسوا إن ليهم بيت و أوضة خاصة بيهم زي باقي صحابهم.

- طيب، على كل حال الكلام مش هينفع. يلا توكلوا على الله.

سلمت ندى و الأولاد على حماتها, التي لا تستطيع مغالبة شعورها بالحزن و الإحباط, و نزل الجميع االي السيارة, في انتظار حسن, و كالعادة ,مضت الدقائق بطيئة, مملة و الأولاد يحثون ندى على عدم انتظار والدهم المتأخر دائما. لكنها كانت قد قررت ان تبدأ صفحة جديدة، فلتنتظر حسن, و بعد حوالي نصف ساعة ظهر حسن و أخرج مفتاحه و ذهب متباطئا في اتجاه سيارته, أخذ في تلميع الزجاج و ضبط المرايات, و أخيرا فتح الباب, ثم أخذ ينظف تابلوه السيارة, و يرتب و يلمع, و أخيرا حانت ساعة الصفر, و انطلق بسيارته ,و انطلقت ندى وراءه في إتجاه بيتها الجديد, و حياتها المقبلة.

كان البيت الجديد متعه لندى, لم تكن تتصور أنها ستعشقه االي هذه الدرجة, كان كل ركن فيه على مزاجها, اختارت كل شئ و رتبته كما تريد تماما فحسن لم يعترض ، كانت تشعر أنه حقا مملكتها الخاصة, و يبدو أنه أثر على حسن ايضا. فلأول مرة لم يعترض على ذوقهاو لم يقلل من شأنها و لم يتعمد حرق أعصابها. بل بالعكس يبدو أنه كان مستمتعا مثلها، و امضيا اول ليلة في حالة سعادة و حب ذكرتها بأول أيامها معه حيث كانت تظن أن زواجها سيستمر في حالة من العشق. تمكنت من إستعادة هذه الحالة مرة أخرى, و امضيا معا ليلة من العشق التي كادت ندى أن تنساه.

و في الصباح, بدأت ندى حياتها الجديدة, فلم يبقى سوى أسبوع ,و تنتهي الأجازة , و تعود ندى االي عملها, ثم أن والدها و والدتها يريدون زيارتهما ,و مباركة بيتها الجديد, و هى تريد أن يكون في أحسن حال, كما أن اخوها سيف سوف يعود أخيراً من دبي في خلال شهر, و هى تحب سيف, بل تعشقه ,و تريد أن تفاجئه ببيتها الجديد التي طالما حكت له عنه في مكالمتهما الطويلة. البيت جميل, و مرتب و نظيف و الشمس و النور يملآنه. قد تكون المشكلة الوحيدة هى الشعور بأن العمارة غير مسكونة, و لكن هناك حارس, صحيح أنه يقوم على شئون أكثر من عمارة, و لكن ندى اتفقت معه على أن يقفلوا باب العمارة بإستمرار, االي ان تركب "انتركم" يمكنها من فتح باب العمارة بنفسها, فهذا يجعلها تشعر بالامان .

و إستمتعت ندى بكل لحظة, و خاصة و هى ترتب لزيارة والديها, وقفت في الصباح, تجهز كيكة القرفة التى يحبها والدها, و البيتزا التي تفضلها والدتها, و رتبت المنزل على أكمل وجه, و طلبت من حسن أن يشتري بعض المشروبات, و هو في طريقه من عند والدته, و فعلا أتى بها كلها على أكمل وجه.

كان ميعاد الزيارة في السابعة, و والد ندى يحافظ على مواعيده ,و هو مريض قلب, و لن يتأخر, حتى لا يؤخر نومه, لذا بدأت ندى في الإستعداد من السادسة, و بدأ حسن في الإستعداد هو الآخر.

و في الساعة السابعة إلا خمس دقائق ناداها حسن.

- ندى.

- نعم، أنا باجهز صينية الشاي.

- تمام ، بس أنا نسيت أقولك حاجة.

- خير؟

- الأسانسير عطلان.

- إيه؟

صرخت ندى, و قد نزل عليها الخبر كالصاعقة.

- يعني إيه و ليه مقولتش؟ و بابا إزاي هيطلع؟ دي كارثة. ده زمانهم بيركنوا العربية و ماما سايقة من المهندسين لهنا.

- سوري

- طب و إيه العمل ؟

- و لا يهمك ممكن اشغله. أصل أنا أكتشفت إن سكينة الكهرباء بتقلب إذا إتقطع النور و لازم نعدلها.

- طب و ليه معدلتهاش؟

- نسيت.

أدركت ندى إن حسن رجع ثاني لإثارة أعصابها و اللعب عليها. تماسكت فليس هناك وقت.

- طب لو سمحت تعدلها.

- طيب بس أنا في الحمام يعني إنتي مش حاسة.

- طب بسرعة من فضلك.

- ثواني

جاءها الرد.

و لم تصدق ندي, وهي تسمع صوت باب الحمام, ثم صوت المياة وهي تنساب من الدوش. لقد قرر حسن أن يستحم. اذاً فامامه نصف ساعة علي الأقل حتي يظهر.

- يا حسن حرام عليك. بابا علي وصول.

- طبعاً طبعاً حالاً.

و في نفس اللحظة رن الموبايل كما هو متوقع, وجاءها صوت والدها متسائلاً

- هو الأسانسير عطلان ولا إيه.

- أبداً أبداً هي بس سكينة الكهرباء. حسن هيصلحها حالا.

- طيب يا بنتي يالا أحسن الجو حر.

- حاضر يا بابا.

جرت ندي تدق علي باب الحمام.

- يا حسن أرجوك بابا تحت و الدنيا حر.

و تمر الدقائق ثقيلة , و صوت المياة الرتيب يدل علي عدم الإستعجال أو تغيير النمط.

و تبدأ ندي في التوتر المعتاد.

و يرن الموبايل مرة أخري. و في هذه المرة يأتي صوت والدتها مؤنباً.

- يا ندي بقي لنا اكثر من خمس دقائق و الدنيا حر و بابا تعبان.

- آسفة جدا و الله هستعجل حسن.

- لسه هتستعجليه.

أنبتها أمها.

قولي لنا فين السكينة دي و بابا يصلحها.

- أصل مش عارفة مكانها بالظبط .

دقيقة أسأل حسن.

و تجري إلي الحمام مرة ثانية و في هذه المرة تصيح في توتر.

- بابا تعبان يا حسن حرام عليك فين مكان سكينة الكهرباء.

- أصلها في الجراج , و بابا مش هيعرف يوصل لها. انتظري دقيقة.

و يجيئها صوت ابنها أحمد ملهوفاً. أنا ممكن انزل أساعد جدو لحسن يمشي من غير ما أشوفه.

- حاضر يا حبيبي ماتخافش بابا هينزل حالاً.إ ستنى كده.

و تأخذ ندي الموبايل, و تتصل بوالديها.

- حسن جاي حالاً.

ياريت بس تقعدوا في العربية لحد ما يصلحه.

أصل السكينة في الجراج و صعب الوصول لها.

و تقفل امها الخط.

و أخيرا يخرج حسن, و جسمه ملفوف بالبشكير الجديد.

- يالا يا بابا جدو تحت.

- حاضر، بس يعني ممكن أنشف نفسي و ألبس هدومي.

وبدأ حسن في تنشيف جسمه بالروتين المعتاد و كأن شيئا لا يؤرقه. و سكتت ندي فهي تعلم أن الكلام لن يجدي.

- علي فكرة

قال "حسن".

- أنا نسيت أطلع التي شيرت الصفراء ممكن حد يجيبها من الدولاب.

وجري أحمد نحو الدولاب و جاء بالتي شيرت.

- من فضلك تكويها لحسن مش قادر ألبسها كده.

- إلبس واحدة ثانية.

بدأت نبرات صوت ندي تعلو رغم محاولتها السيطرة عليه.

- لأ لأ أنا عامل حسابي علي الصفراء.

رد حسن بالبرود المعتاد.

جرت ندي صاغرة الي المكواة و جهزت التي شيرت في دقيقتين.

- أي طلبات تانية.

- لأ شكرا.

رد حسن وهو يرتدي التي شيرت ثم يسرح شعره ثم يلبس الشراب و الحذاء ثم يبحث عن مفتاحه و أخيرا يتجه إلي الباب.

و يرن الموبايل و يأتي صوت والد ندي.

- طيب يا حبيبتي أنا مضطر امشي علي كل حال ألف مبروك و سلمي لي علي الاولاد.

- لأ لأ حسن خلاص نزل.

علشان خاطري يا بابا أنتم وحشتونا جدا.

و يرضخ والدها و ينتظر حسن الذي ظهر و سلم عليهم بمنتهي البرود و كأن شيئا لم يكن.

- ثواني سأنزل الجراج لأصلح السكينة.

و نزل حسن و اشتغل المصعد أخيرا و إستقبلت ندي والديها بالدموع والابتسام. دموع الخوف عليهما وعلي سوء إستقبالهم لهما وفرحة لقائهما في منزلهما لأول مرة.

و نسي الجميع كل شئ في متعة اللقاء , و اللعب مع الأحفاد, و إستمتعت ندي بالكيك ,و البيتزا, والكلام, والتسامر.,وتفرج والديها علي المنزل باعجاب وابتهاج, و حاول الجميع تجاهل ما حدث, و لم تنقل لهما ندي تذمرها من حسن, و شعورها بأنه كان مستمتعا بمعاناتهما في الدقائق السابقة للزيارة.

و في نهاية الزيارة سألتهما ندي مؤكدة.

- أليس هناك تغير في ميعاد رجوع سيف من دبي؟

- لأ بعد بكره انشاء الله.

ردت الام.

. سأكون في انتظاره أنا و حسن ان شاء الله.

قالت "ندي"

أوكي .

- و الله كان نفسي أروح بنفسي

رد والدها

- واحشني بجد. لكن المشوار صعب عليا جدا.

- ولا يهمك

رد حسن

- هروح مع ندي أصل سيف واحشني أنا كمان.

- عموما ربنا يسهل بس أوعوا تتأخروا عليه أحسن معاه عزال و شنط و مافيش حد غيركم.

- طبعا يا طنط طبعا

رد حسن و هو يقفل الباب وراءهما

- إطمئنوا.

- و هو أنت فعلا هتيجي معايا؟

سألت "ندي".

- طبعا يا حبيبتي طبعا. ده سيف ده صاحبي أصلا و بعدين واحشني. بس المشكلة إننا هنضطر نروح بعربيتك لأن عربيتي هتكون عند الكهربائي.

-مش مشكلة. بس أرجوك راعي إن ده ميعاد مهم و سيف حيزعل لو ملقناش مستنينه. و بعدين أنا فعلاً عاوزة أشوفه. واحشني قوي. مش مصدقة إنه أخيرا هيرجع و يقعد معانا و نخرج و نسهر سوا.

- إطمني.

- بس نفسي أسألك سؤال. ليه ما صلحتش الأسانسير؟ ليه بتعمل كدة؟

- كدة ايه؟

سأل في إستغراب.

- ليه بتحب تعذبني و تلعب بأعصابي؟ هوأنا عملتلك إيه؟

- أنا !!

- صاح منزعجا إ

أنا شايف إنك تعبانة.

تصبحي على خير.

و إنتهى الحديث , و في اليوم التالي أمضت ندى الوقت كله و هى تشعر بالسعادة لعودة أخيها, و تأام روحها, فلطالما أمضيا الوقت معا يلعبان كطفلين, ثم يتسامرا كمراهقين, ثم يتجاذبا أطراف الحديث كشابين, و لطالما حملا همومهما الصغيرة سوياً, و احتفظا بأسرارهما البريئة معا, و حلا المشاكل البسيطة ,و هكذا و هكذا . لقد افتقدته

ندى كثيرا, و لكن يتبقى شئ, فهل تحمله ندى اللآن همومها التي لم تعد صغيرة؟ و هل تفضي له بأسرارها و أنها لم تعد تتحمل و بأن المشاكل لم تعد بسيطة؟ و هل يتمكنا الآن من حلها سويا كما كانا يفعلان ؟ على كل حال فإنها لن تقول له شيئاً في الوقت الحالي, فيجب ألا تحمله الهموم حال وصوله, و لتدعه يستمتع بوجوده بينهم قليلاً.

و في صباح يوم الوصول, بدأت ندى في تنظيم الوقت حتى لا تتأخر عن ميعاد طائرة سيف. ثم أنها تريد أن تقضي أطول وقت معه, قبل أن تسافر هي نفسها مع المنتخب في الأسبوع المقبل. إنها سفرية مهمة, و الماتش في غاية الأهمية ,حتى أن مدير المنتخب وعدهم هذه المرة بمكافأة مادية مجزية إذا كسبوا البطولة. و ندى تحتاج هذه المكافأة, لتكمل ما تبقى من ترتيبات في الشقة بدون اللجوء لأحد.

- صباح الخير.

بادرت حسن ,عندما إستيقظ في العاشرة كعادته .

- النهاردة ميعاد طائرة سيف.

- فعلا؟ كنت هانسى ,هى الساعة كام بالضبط ؟

- خامسة إن شاء الله.

- جميل. أنا هأنزل الساعة 11. عندي مشوار مهم و أكون عندك الساعة 2 بالضبط و نتحرك حوالي الساعة 3. أظن ان ساعتين كفاية للمطار.

- طبعا كفاية. بس أرجوك أرجوك متتأخرش. ده ميعاد طيارة.

- متخافيش. ده سيف واحشني جدا.

و كان هذا هو الشئ الوحيد الذي يطمأن ندى.

- تمام هاكون أنا و الاولاد مستنينك. أوعى تنسى إنك نازل بعربيتي و مش هيكون معايا عربية.

- حاضر يا حبيبتي.

فرحت ندى بالكلمة, و إستبشرت خير, يبدو أن وجود سيف سيعيد لهما قليلاً من الرومانسية المفقودة. لقد بدأ حسن يهدأ ,خاصة أنه يفكر في مشاركة سيف في أي مشروع صغير. و ربما يرفع ذلك من معنوياته.

نزل حسن, و أيقظت ندى الاولاد, و بدأ جو من الإثارة و السعادة التي فجرها قدوم سيف المنتظر.

- بجد يا ماما خالو جاي؟

قال زياد في سعادة.

- إن شاء الله يا حبيبي.

وهيجيب لي الأي باد ؟

- طبعا يا زياد

قالت ضاحكة و مؤنبة في ذات الوقت.

– هو عمره رفض لك طلب؟

- و أنا يا ماما حيجيب لي الموبايل؟

- ايوة، ممكن بقى تروحوا تلبسوا علشان الوقت بيجري. أنا هأكلم بابا علشان الساعة 1 و لازم يبدأ يتحرك.

و طلبت ندى موبايل حسن بإهتمام.

- ألو جاءها صوته واضحا.

أيوة يا حبيبي، كنت أافكرك أن الساعة 1 و ميعادنا 2.

- و الله فاكر. أنا في الطريق. إبدأوا إجهزوا, لأن الدنيا زحمة جدا و نفسي نتحرك قبل 3. المشوار بعيد.

- اوك

أغلقت الخط و هي سعيدة بتأثير قدوم سيف على الجميع.

و بعد قليل كان الجميع مستعدون و في إنتظار حسن. و في الثانية تماما طلبته ندى مرة أخرى.

- أيوة.

- أنت فين؟ سألته.

- أنا آسف جدا ولله

قال معتذراً

- السكة زحمة جداً جداً و الطريق صعب. أنا هتأخر نص ساعة. معلش. متقلقيش.

- يا نهار ابيض !

بدأت ندى التوتر المعهود.

- ما تخافيش. لسه قدامنا وقت.

و هكذا بدأت الدوامة ,و اللعب بأعصابها, و السيناريو المعهود, و كأن حسن يحقق انتقاما و إنتصارا جديدا, مثل كل مرة.

و لأول مرة مدت ندى يدها, و أخذت من الدواء المهدئ الذي وصفته لها صديقتها منى, فهي في حاجة االي الهدوء, لأن المشوار طويل بجد, و يجب ألا يشعر سيف بأي توتر, فحرام أن يشعر بذلك حال عودته التي طالما انتظرها الجميع.

و في الثانية و النصف تماما ,عاودت الإتصال بحسن, لكن الموبايل خارج الخدمة. و اتصلت مرة اخرى ,و جاءها نفس الصوت المحبط ليخبرها أن الموبايل الذي تتصل به قد يكون مغلقاً أو خارج الخدمة.

و بدأت تتابع عقارب الساعة الجديدة المعلقة على الحائط, و هى تتحرك ببطء, و حسن لا يظهر, و الموبايل مغلق, و بدأ الأولاد يشعرون بأن هناك توتر ما. و بدأوا في التذمر بطريقتهم الصغيرة.

ماذا تفعل؟ هل تنتظر؟ هل تطلب كريم و تذهب به للمطار؟ هل تخبر والديها بتأخرها؟ و جاءها الرد في رنة الموبايل و صوت والدتها.

- ألو. أزيك يا حبيبتي؟

- أهلا يا ماما.

- حتنزلي امتى؟ يادوب الدنيا زحمة.

- حالا يا ماما. أنا نازلة دلوقت.

كذبت ندى و هى تشعر بالحرج و التوتر.

- طيب يا حبيبتي.

طمأنيني.

الساعة الثالثة, و حسن لا يظهر, و الموبايل مازال مغلقاً, و بدأت ندى تفقد الامل و قررت الاتصال بكريم, و طلب عربة, مهما كلفهما ذلك. و ما أن بدأت فيالدخول حتى سمعت الباب يفتح و دخل حسن على الأبليكيشن .

- حرام عليك. هو مافيش فايدة.

صاحت بوجهه حيث لم يكن المهدئ قد بدأ مفعوله.

- و الله اسف. غصب عني.

- الساعة عدت 3 و الطيارة الساعة 5. يعني أعمل إيه دلوقت.

- ولا حاجة

رد بهدوء

- ده أمر واقع

- إبعتي رسالة لسيف. هو ممكن ياخد كريم و إحنا نروح على المهندسين.

- لا مش ممكن

صاحت بخوف

- أنا قلت لماما إن أنا رايحة المطار. و لا يمكن مايليقيش حد مستنيه. أنا لازم أروح.

It is hopeless.-

- يعني إيه.

- يعني الدنيا زحمة. و أنا مش ناوي أروح على الفاضي.

- يعني كمان هأروح لوحدي و أسوق لحد المطار و أنا في الحالة دي.

- والله إنتي حرة.

أنا مش عبيط علشان انزل. السكة زحمة جدا جدا.

- والله حرام عليك

- قالت باكية.

- أنا غلطانة إني مانزلتش من الأول لوحدي و إستنيتك.

- يا ندى اهدي مافيش مشكلة. سيف مش صغير.

لم ترد ندى ,و أخذت مفتاح العربية ,و تركت الأولاد يبكون, و جرت نحو الباب.

- والله لا يمكن توصلي في الميعاد.

طاردها صوته المتلذذ.

و في الطريق ,عانت ندى الأمرين, فالساعة الثالثة و النصف, و هى ساعة ذروه، و الزحام على أشده ,و أعصابها في قمة التوتر, و هى تشعر بقلق شديد،, و تعالت أصوات الزحام, من سيارات, و فرامل ,و آلات التنبيه ,و صياح ,و موسيقى صاخبة, و أصوات خناق و سباب و عصبية.

و هكذا و هكذا و كادت ندى أن تفقد أعصابها.

تريد أن تصرخ تريد ان تترك السيارة, و تجري ,و الوقت يمضي بسرعة شديدة.

و أخيراً, و بعد عذاب, وصلت ندى, و كانت الساعة الخامسة و النصف. إن الامل الوحيد هو أن يكون سيف مازال بالداخل, عند سير الحقائب, أو في الجوازات , ركنت

السيارة ,بعد مشقة, و نظرت في ساعتها, فوجدتها قاربت السادسة, فجرت نحو باب الخروج و الركاب و إذا بها تلمح سيف خارجاً, و عيناه تبحثان عنها في كل مكان.

ها هوأخاها بوسامته, و إبتسامته و عينيه المحبتين,, و وجهه البشوش المتفائل , و لم يشبع ندى العناق, ولا القبلات, فهى تشعر بالحب, و الراحة, و الأمان ,الذي طالما افتقدته.

- وحشتني قوي.

- و أنت كمان. فين الأولاد و فين حسن؟

- معلش, حصل لخبطة في آخر لحظة و مقدروش ييجوا.

- خسارة كان نفسي أشوفهم.

- ولا يهمك

قالت ضاحكة.

- إن شاء الله بكرة هتشوفهم. إحنا هنتعشى سوا أنا عاملة لك اللحمة بالجزر اللي بتحبها. و ياريت تبات عندي, البيت حيعجبك قوي.

- ده إنتي سخنة قوي.

- طبعا يا حبيبي. أنا مش مصدقة إنك جيت.

و انتهى اليوم بسلام. وصلت ندى أخوها المهندسين و امضت وقتا مع عائلتهما. و كلم سيف زياد و أحمد. ثم بدأت رحلة العودة.

كانت العودة سريعة و قصيرة, فالمحور غير مزدحم لأن الوقت تأخر.

لكن ندى منهكة رغم سعادتها الشديدة . و ما أن وصلت و فتحت باب العمارة حتى عاودها التوتر, و بدأت تشعر باختناق شديد, و للأسف بدأت تشعر أن المنزل الجديد يزيد شعورها بالقلق و التوتر و أن البعد عن هذا الجو كان يشعرها بالهدوء و الراحة. إن الوقت الذي امضته مع أهلها أعاد لها الهدوء و السكينة التي طالما افتقدتهما.

و توجهت ندى االي حجرة الأولاد, فوجدتهما في نوم عميق فقد تعدت الساعة الحادية عشر.

أطمأنت عليهما ثم توجهت الي حجرتها في هدوء. و لم تعر حسن أي انتباه . ترامى االي سمعها صوت فيلم اسماعيل ياسين في مستشفى المجانين. و رنت ضحكات حسن في أذنيها, فأغلقت باب الحجرة, و غيرت ثيابها, و دخلت الفراش في هدوء.

و في اليوم التالي, قامت و هى تشعر بإعياء شديد, و توتر عصبي جديد. فامتدت يدها مرة أخرى االي النصف الثاني من قرص المهدئ, و بدأت يومها.

قررت هذه المرة ألا تخبر حسن بقدوم سيف إليهم, و لا بالدعوة التي وجهتها له. و لحسن الحظ كانت مكالمتهما سريعة, و لم يفهم حسن أنها دعت سيف على العشاء و هى لم تقل له ولا للأولاد.

و مر الوقت في هدوء, و هى تعد للعشاء, حتى لفت تأخرها في المطبخ نظر حسن فسألها.

- هو فيه إيه؟ ايه كل ده ؟

تجاهلته تماما . و في الساعة السابعة و النصف كان جرس الباب يدق . تركت حسن يفتح الباب, و إذا به يجد سيف امامه.

- إيه ده؟ إيه المفاجأة الحلوة دي؟

صاح حسن مندهشا ,و سعيداً سعادة حقيقية.

- مفاجأة ايه!! ما هى مراتك اللي عازماني.

- بجد !!

- أنا قلت أعملهالك مفاجأة.

جاء صوت ندى منتصرا. لأول مر ة تشعر أنها سيدة الموقف.

و جاء الأولاد مسرعين ,و ارتموا في أحضان خالهم, و تلقفهم بحب ,و حملهم بسعادة, و أخذ يداعبهم, و يلاعبهم ثم بدأ في إخراج الهداي, فالايباد لزياد, الموبايل لأحمد. لحسن, و التي شيرت "البولو "

ثم جاء دور ندى التي لم تداري سعادتها بما أغرقها به من هدايا في صورة ملابس و مايوه و بارفان. ما كل هذا الكرم بل ما كل هذا الود و الحب.

- مش معقول يا سيف.

قالت ضاحكة.

- ده كتير قوي.

- مفيش حاجة تغلى عليكم هو أنا ليا مين غيركم.

- لأ لأ.

قالت مقاطعة.

- أنت خلاص لازم تدور على عروسة. كفاية كده و أنا عندي ليك تلاتة مش واحدة.

- طب واحدة واحدة عليه.

رد حسن.

– شكراً .

متشكر جداً.

قال سيف بإقتضاب.

- طب إيه يا عم.

ضحك حسن.

-ليه واخد الموضوع جد كده؟ و بعدين فين العشا؟

- حالا .

قالت ندى, و ذهبت تجهز المائدة, و الاولاد يحاولان مساعدتها.

و على المائدة جلس الجميع ,و إستمتعوا بالعشاء اللذيذ. و سيف يحكي و يتسامر معهم كما في الماضي ,و الأولاد يضحكون على نوادره, و الجميع سعداء, و حسن في هدوءه المعتاد.

و بعد العشاءجلس الحميع امام التلفزيون ,ينظرون إليه و لا يشاهدون ما فيه فهم جميعا يتجاذبون أطراف الحديث, إلا حسن.

قالت ندى.

- على فكرة.

أنا الأسبوع الجاي مسافرة قطر.

عندنا البطولة العربية و عندنا أمل كبير نكسب.

- بجد؟

علق سيف بسعادة.

- إن شاء الله.

- يادي البطولات اللي مش بتخلص دي

– قاطعهما حسن

– هو إنتم كل شويه بطولة بطول

- المرة دي إن شاء الله مهمة قوي. غالباً آخر بطولة ليا كـ كابتن الفريق و فيه مكافاءة كبيرة لو طلعنا من أول تلاتة.

و إن شاء الله هنطلع الأول.

I don’t think so.-

رد حسن.

-ليه يا عم؟

سأل سيف.

- يا عم إنت بتصدق. هم دول يعرفوا يلعبوا أصلا. هو فيه رياضة بجد في مصر.

- طب ما أحنا كسبنا قبل كده

صاحت ندى و قد بدأ الضيق يعاودها.

- ده ربنا اللي بيستر.

- طب بس بس خلاص.

قاطع سيف مبتسماً في محاولة للتخفيف.

- المهم مين هيوصلك المطار؟

- لسه مش عارفة.

- خلاص رتبي امورك على إن أنا اللي هوصلك. بس أوعي تأخدي على كده.

- ماشي يا عم سيف.

قال حسن.

- طب و الأولاد ؟

سأل سيف.

- هسبهم عند ماما و حسن هيروح عند طنط و يبقى يشوفهم كل يومين. هي كلها عشرة أيام إن شاء الله.

- و الدراسة؟

- الحمد لله وافقوا لي على أجازة علشان المنتخب. و الأولاد دينا صاحبتي هتأخدهم معاها كل يوم.

- مين دينا دي؟

سأل سيف.

- دي واحدة من المرشحات.

ضحكت ندى.

- فعلا .

طب بصي تصبحوا على خير و نتكلم في الموضوع بكرة.

إبتسم سيف و هو ينهي الحديث متوجها االي حجرة الأولاد لينام.

- على فكرة.

تراجع سيف.

- نسيت أقولك أن اللوحة اللي في اليفينج رائعة.

- هو إنتي اللي رسماها؟

- آخر تفانين أختك.

علق حسن.

- بصراحة حاجة رائعة.

قال سيف مشجعاً.

و أطفأت ندى الإنوار, و نامت في هدوء شديد, طالما افتقدته. و في الصباح ,كان أول شئ عملته بعد أن انتهت من مهامها, هو أن تمسك فرشتها التي طالما افتقدتها منذ زمن غير وجيز. و بدأت تضع أول لمسات في لوحتها الجديدة التي قررت رسمها, و العودة للحياة.

****

و في يوم السفر, أعدت ندى كل شئ منذ الصباح الباكر, كانت تريد التركيز على البطولة فقط, كان أملها كبير, و طموحها عالي. و هي تريد أن تختم رحلتها ككابتن ختام ناجح, كما أنها تخطط لأن تبدأ قريبا عملها كمدربة كرة سلة. فهي تعلم أن أيامها كلاعبة وشيكة الإنتهاء. و لذا فقد فرحت بعرض سيف أن يوصلها. و كانت قد قررت على أي

حال أنها لن تسمح لحسن بتكدير صفوها هذه المرة. بل أكثر من ذلك، فقد قررت أن تأخذ موقف من كل شئ بعد رجوعها من السفر. ربما امدها رجوع أخيها بقوة ,و ربما رجع مرحه رغبتها في إستعادة مرحها هى الأخرى ,و البدء من جديد.

كان ميعاد الطائرة في السادسة مساء, و لذا يجب أن تقوم بالتواجد في المطار في الرابعة.,و لذا كان ميعاد سيف في الثانية تماما.

كل شئ جاهز, الحقائب مغلقة, الأولاد عند والدتها, حسن رتب حقيبته, و سوف ينزل بعدها, و يغلق المنزل ليذهب االي امه بعد أن يعود من الساحل, حيث قرر أن يذهب في آخر لحظة. و قد أوصت الحارس ألا يفتح باب العمارة على الإطلاق لأي شخص.

- جاهزة.

سأل حسن.

- الحمد لله.

- بصراحة إنتي دايما جاهزة.

- أرجوك ادعي لي المرة دي.

- حاضر. عارف إنك محتاجة للدعاء.

بدأ حسن. لكنها ليست مستعدة على الإطلاق هذه المرة.

- متنساش تقفل الباب بالمفتاح.

ذكرته في محاولة لتغيير الموضوع.

- حاضر. هى الساعة كام؟

- 2 إلا ربع.

- و سيف إتصل؟

و في نفس الوقت رن جرس الموبايل, و جاء صوت سيف.

- خايف أتأخر دقايق من الزحمة. لو موصلتش الساعة 2 بالدقيقة نزلي الشنط و إستنيني. متقلقيش مش هتأخر.

- حاضر. لسة ربع ساعة. خللي بالك. أنا مش قلقانة.

- هشحن موبايلي

قال حسن

- أصله فاضي وهاستنى سيف في الشباك.

إستغربت ندى من إهتمام,و و دعت الله ألا يغير رأيه.

و في تمام الثانية, قررت التحرك, فقد تأخر سيف قليلاً و ليس هناك وقت, مدت يدها بالسلام على حسن, حضنها و قبلها و قبل أن تفتح الباب ناداها.

- على فكرة أنا جاي معاكي.

- جاي فين.

- أنزل على سكتكم.

- تاني يا حسن- صاحت ندى-مافيش وقت

- متخافيش. نزلي الشنط و أنا وراكي على طول.

- لو إتأخرت هامشي.

قالت في حسم.

- متخافيش.

و نزلت ندى مع حقائبها, و تأخر سيف قليلا فوصل في الثانية و عشرة دقائق, و ضعا الحقائب في السيارة ,و كما هو متوقع لم يظهر حسن.

- يالا بينا.

قررت ندى.

- مش قولتي حسن جاي؟

- إتأخر و مافيش وقت.

- مايصحش. إطلبيه على الموبايل.

- خارج الخدمة. شحنه فاصل.

- طيب هأطلع أشوفه.

- يا سيف و الله مافيش وقت.

- معلش.

نزل سيف من السيارة, و دخل باب العمارة, لكنه وجد حسن قادم.

- يالا يا حسن إتأخرنا.

- آسف والله.

إعتذر حسن.

- ممكن بس نرتب شنطتي في العربية بسرعة.

- حاضر

رد سيف, و قد بدأ يقلق, و في دقائق ,صفوا الحقائب في السيارة, و ركب حسن, و ما أن تحركت السيارة حتى صاح حسن.

- يا خبر.

- إيه؟

- اصل أنا نسيت الموبايل. آسف يا جماعة هأجيبه في ثواني.

و نزل حسن مسرعا من السيارة التي أوقفها سيف, قبل أن يعطي لأحد فرصة.

- جوزك ده متعب.

علق سيف.

- هو إنت لسه شفت حاجة.

مرت الدقائق, و لم يظهر حسن كما هو متوقع.

- الساعة 2:30 .

إعترضت ندى.

- معلش كلها ثواني.

- يالا بينا.

- ماينفعش, شنطه معانا.

- طب و بعدين.

- معلش هأطلع أستعجله.

- لا المرة دي أنا اللي هأطلع.

نزلت ندى, و دخلت العمارة ثائرة, فلم تجد حسن, دإست بإصبعها على مفتاح المصعد, فلم يشتغل,

صرخت

- مش وقته أبدا.

جاء صوت حسن من بعيد.

- أنا في الاسانسير. الكهربا قطعت و رجعت. ممكن تقلبي السكينة؟

- هى فين بالضبط؟

- في العلبة اللي جنب السلم تحت في الجراج.

- جبت الموبايل.

سألت و هى تتجه االي السلم.

- لسه لسه.

صاح حسن بغضب.

نزلت ندى السلالم بسرعة, و وجدت العلبة, فتحت الباب بلهفة ,و مدت يدها االي السكينة, فكرت, كيف تشتغل؟ إنها تعلم أن المفتاح معلق و بحاجة لتصليح, قررت أن ترجع لتسأل حسن ,قبل أن تحرك المفتاح, تركته كما هو, أغلقت العلبة, و صعدت السلالم بسرعة, توجهت ندى االي باب العمارة. اغلقته خلفها كما قالت للحارس, و ركبت السيارة.

- فين حسن؟

سأل سيف.

- مش لاقي الموبايل و خايف يأخرنا, فقال لي امشي معاك.

- و الشنط؟

تسآل سيف.

- سيبها في عربيته في الجراج.

و ساعدت ندى سيف في نقل الشنط بسرعة شديدة. و انطلقا االي المطار.

- هو حسن رايح الساحل؟

سأل سيف.

- أيوة.

ردت بسرعة.

- طب و مامته؟

- حيبقى يقعد معاها يومين لما يرجع.

- طب و مش هاتزعل.

- طبعا زعلانة, و مخصماه من ساعة ما عرفت, و مش حاتكلمه إلا إذا راح, دي أصلا متعرفش عنوان بيتنا من ساعة ما عزلنا.

-لا حول و لا قوة الا بالله.

تمتم سيف.

- بأقولك ايه.

قالت مبتسمة.

- سيبك من كل ده أنا عايزة أركز في البطولة.

- عندك حق.

- د ي أهم بطولة في حياتي.

- إن شاء الله ربنا هيوفقك و يوفقكم.إنتم تعبتم ,و بعدين أنا واثق إنك حتكوني نجمة زي كل مرة.

- يا رب يا سيف.

تمنت من قلبها.

- أنا طموحي كبير, و عندي ثقة شديدة و ايمان بربنا. و نفسي أحقق احلامي. عايزة اغني عايزة افرح عايزة اطير.

و في الملعب, تألقت ندى كما لم يحدث من قبل, و طارت كالفراشة, خفيفة بلا احمال, ريشة في هوا, طايره بغير جناحين.

حكايتي مع الزمان

قامت منال من على سجادة الصلاة وهي تتثائب ، لكنها تشعر بالرضا والسكينة كعادتها كل صباح , بعد أن تتم صلاة الفجر في معادها ,وتبدأ يومها بأدعية وبأذكار الصباح التي تتبارك بها.

لقد دأبت على ذلك منذ عشر سنوات, وهي الآن في الأربعين من عمرها , ولازالت تجاهد حتى تتمكن من أداء فرائضها جميعًا وصلاتها على وقتها , وهي تشعر بالهدوء والسكينة في مثل هذا الوقت المُبكر, فزوجها وأولادها الاثنان نيام, فلا تسمع سوي صوتها الداخلي وهي تصلي ,ثم تسمعه وهي تناجي ربها وتدعوه أن يغفر لها وأن يحفظ أولادها وزوجها, فهي دائمًا ما تشكره على نِعمِهِ الكثيرة.

إنَّها تعلم أنَّ نعم الله عليها كثيرة , فقد حباها الله بقدرٍ معقول من الجمال , كما أنَّها وُلِدَت وعاشت في عائلة ثرية , وقد ورثت من والدها ما يكفيها ويكفي أولادها ويكفل لهم حياة كريمة , بل إنَّها تمكنت من الوقوف إلي جانب زوجها ومساعدته في إقامه مشروعه الصغير, حتى بدأ في التخطيط لمستقبل ولديهما , فإنَّ الكبير على وشك دخول الجامعة , والصغير سوف يلحق به في خلال عامين , أفلا تستحق كل هذه النعم أن تشكر ربها عليها؟ إنَّ أقل ما يجب هو أن تحافظ على صلاتها وعلى علاقتها بربها , فهي لا تملك سوى أن تحمد الله على هذه النعم , وتدعو إليه أن يحفظها من الزوال.

وبينما تدور كلُّ هذه الأفكار في رأسها , تبدأ في تجهيز الإفطار للأولاد وفي تحضير الساندوتشات التي سيأخذونها معهم إلي المدرسة , وفي تمام السادسة والنصف, تبدأ في إيقاظهما , وتستمتع داخليًا بمحاولتهما ألَّا يستيجبا لإلحاحها, وكالمعتاد يستيقظ حازم ابنها الكبير بالتزامه المعهود, بينما يظل عمر يتكاسل ويتثائب , حتى تبدأ في الصياح قليلًا لتشعرَه بمرور الوقت , وهكذا تظلُّ تتابعهما حتى يصلِّيا ويرتديا ملابسهما , وأخيرًا ينزلان إلى أتوبيس المدرسة الذي يأتي في تمام السابعة والربع , وبعد ذلك تأخذ قسطًا من الراحة على كنبة حجرة المعيشة , وقد يتمكن منها النعاس حتى يرن الموبايل في الثامنة والنصف كي توقظ أحمد زوجها.

وبعد أن يستيقظ أحمد , تقدم له إفطاره مع كوب النسكافيه المفضل لديه وتساعده في تجهيز ملابسه وأوراقه , ثم تغلق باب الشقة وراءه ,وتتجه إلى فراشها لتنعمَ بساعة أو ساعتين من النوم ,قبل أن تبدأ يومها العادي , وكعادتها تُظلم الغرفة , وتمسك بالموبايل لتقرأ القليل من القرآن , حتى تنتهي من وِردِ الصباح قبل أن تنام, ولكنها لم تتمكن من

قراءة وِردِ هذا الصباح لأنَّ الموبايل رنَّ قبل أن تمسكه, لابد أنَّه أحمد قد نسيَ إخبارها بشيء كعادته , أمسكت بالموبايل , ولكنها لم تر صورة أحمد , وإنَّما اسم داليا صديقة عمرها وزوجة أخيها , وتوجست خيفة , فما الذي يجعل داليا تطلبها في التاسعة والنصف صباحًا!؟ لابد أنَّها تشاجرت مع خالد زوجها كعادتهما, فكرت ألَّا ترد ,فهي لا تريد أن تبدأ يومها بمثل هذه المشاكل ، ثم أنَّها قد ملت منها, ترددت قليلًا , لكنَّها ردَّت ، فهي تشعر بالقلق , وتتمني ألَّا يكون هناك مشكلة حقيقية هذه المرة , وكما هو متوقع جاءها, صوت داليا في قمة الغضب والعصبية.

- صباح الخير ، أنا آسفة إني بكلمك بدرى بس فعلًا مش قادرة.
- خير؟
- بصي يا منال أنا المرة دي خالص جبت أخري ، أنا سبت البيت وبكلمك من العربية.
- اهدى بس ، إيه اللي حصل؟
- مش مهم إيه اللي حصل ، المهم إن أنا أخدت قرار ومش هرجع فيه المرة دي.
- طيب ، طيب انتي رايحة فين دلوقتي؟
- مش عارفة ، أنا مش هقدر أروح لماما بدري كده وهي تعبانة ، هروح عند أشرف أخويا.
- لأ لأ تعالي ؛ أنا لوحدي وأحمد هيتأخر النهاردة لغاية 6 . تعالي على طول.
- أوكي بس لو سمحتي بلاش تحاولي زي كل مرة ، علشان أنا بجد خلاص.
- حاضر ، يالا بس تعالي.

تعكر مزاج منال , وبدلًا من الراحة التي كانت تتمناها لنفسها بها , شعرت بالتوتر والحزن والحيرة, فهي فعلًا لا تدرى ماذا تفعل, إنَّها تعلم جيدًا أنَّ زواج أخيها خالد من داليا لن يدوم أكثر من ذلك, فقد تحملت داليا حوالي خمسة عشر سنة, والمشكلة أن منال تعتبر نفسها هي المسؤولة عن هذه الزيجة ، فقد كانت هي من رشحت صديقتها

داليا لأخيها خالد, وقد كانت تأمل أن يكون زواجًا ناجحًا , فداليا إنسانه جميلة, ومهذبة, ورقيقة, وخالد شاب ناجح في مقتبل العمر ,وهو طموح جدًا وذو خلق.

ولكن أحيانًا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن, فبعد عدة سنين من الزواج لم يرزق خالد وداليا بأطفال وبدأت رحلة العلاج والمعاناة والمحاولات الفاشلة , إلى أن اضطر الجميع إلى مواجهة واقع أن خالد لن يستطيع الإنجاب, وبالرغم من المحاولات المضنية والمبالغ الطائلة والسفر إلى الخارج , فقد باءت كل المحاولات بالفشل ,واضطر الجميع إلى التسليم بالأمر الواقع , وتقبلت داليا الحقيقة , وتخلت عن حلمها بأن تصبح أمًا, وعبثاً حاولت منال أن تقنع خالد أنَّ هذا هو أمر الله ,فقد تغير خالد وتغيرت أخلاقه وأصبح شخصًا آخر, قتل طموحه , وضاع مرحه ,وأصبح عصبي المزاج ,وبدأت مشاجراته مع زوجته الرقيقة داليا , حتى تحولت هي أيضًا إلى إنسانة عصبية, ولم تجدِ محاولات منال ولا أمهما في التأثير على خالد , فسئم الجميع محاولة تغييره ,واستمرت الحياة على هذا المنوال ما بين مشاجرات وفترات صفاء , وهكذا, ومنال تعلم أنَّ صديقتها قد فاض بها الكيل , وهي نفسها قد يئست ولا تعلم ماذا تفعل, هل تساند آخاها؟ أم تقف إلى جانب صديقتها؟ إنه موقف صعب ,ولكن هذا أمر الله ومنال مؤمنة ومتدينة ,وقد بدأت تقرأ عن الصوفية , ويجب أن تكون على مستوى المسؤولية ,وأن تراعي الله وتحاول أن تكون عادلة في أحكامها.

- حصل إيه المرة دي؟

سألت وهي تستقبل داليا وتفتح لها الباب.

- أقولك إيه!؟ ده اتجنن والله العظيم.

- أيوه يعني إيه اللي حصل بالضبط؟

- طب ممكن بس أقعد.

- آه أنا آسفة معلش ، أصل أنا قلقانة.

جلست داليا وأشعلت سيجارة وبدأت تحكي

- ولا حاجة , كل الموضوع إني قولت له إنَّ فيه رحلة 5 أيام لبيروت مع المدرسة ، وعايزة أطلع بصفتي رئيسة القسم ومسؤولة عن الأولاد , وكمان فرصة أتفسح وأشوف بيروت.

- طب وإيه المشكلة؟

- مش عارفة ، كأن قنبلة وانفجرت ، "أنا وحشة ومش عايزة اقعد في البيت ، وما صدقت ألاقي حجة علشان أبعد عنه" ، وليه ما فكرتش أقوله يروح معايا؟

- يروح معاكي فين؟

إستعجبت منال

- يروح لبنان.

- يعني يروح معاك رحلة المدرسة؟

- أيوه والله. يعني رئيسة القسم أو الناظرة تأخذ جوزها معاها.

- والله ما أنا عارفة أقولك إيه!؟ طب وبعدين.

- وبعدين فضلنا في خناق حوالي ساعة مستمرة أنا بحاول أسكته وهو مستمر ، حتى في الآخر قولت له بلاها رحلة مش عاوزة خلاص.

- طيب كتر خيرك.

- لأ طبعاً ، تتصوري يقولي إن أنا باخذه على قد عقله وإن أنا مش عاملة له حساب ، بجد مفيش فايدة أنا زهقت.

- طب بس اهدي.

- أهدى إيه ؟ أنا مش عارفه حتى أروح الشغل مش قادرة وكده مينفعش.

- اهدس بس وتعالي خدي دش سخن على ما أحضرلك حاجة تشربيها وادخلي ارتاحي شوية في أوضة حازم وبعدين يحلها حلال.

- حاضر ، أنا فعلًا محتاجة أرتاح ولو إن مفيش حل ، أنا عايزة أرتاح خالص.

وانهارت داليا , واجهشت بالبكاء المرير , وكأنَّ بداخلها بركان قد انفجر أخيرًا, فما كان من منال إلَّا أن احتضنتها, حتى هدأت , وساعدتها على أن تجهز حاجاتها ,وتدخل تأخذ حمامًا دافئًا يساعدها على الاسترخاء.

وأخيرًا , وبعد وقت ليس بقليلٍ استسلمت داليا إلى النوم , واتجهت منال إلي التليفون لتكلم والدتها.

- صباح الخير يا ماما.

- صباح الخير يا حبيبتي ، أخبارك إيه؟

- الحمدلله.

- مالك؟ صوتك مش عاجبني.

- أصل داليا عندي.

- إيه اتخانقوا تاني؟

- أيوة.

- لا حول ولا قوة إلَّا بالله.

- بصي يا ماما أنا قلت بس أعرفك وبفكر أخلي داليا عندي كام يوم ، وكويس إنِّ النهاردة الخميس وفيه أجازة طويلة ، يمكن تهدى.

- ربنا يصلح الأحوال يا بنتي ، ابقي طمنيني وأنا هشوف أخوكي.

- ياريت يا ماما ده بيتخانق على ولا حاجة.

- عارفة يا بنتي عارفة ، ربنا يهديه ابقي طمنيني.

وأغلقت الأم الخط , بدون حتى أن تسأل عن سبب الخناقة , وكأنَّها تعلم أنَّ هذا ليس هو المهم ,وأنَّ الوضع ليس له حل.

وقامت منال وبعد أن اتصلت بزوجها أحمد الذي تحمد الله عليه, أخبرته أنَّ لديهم ضيفة , و بدأت في القيام بأعمال المنزل اليومية بمساعدة الخادمة.

وكما هو متوقع , رنَّ جرس الموبايل في حوالي الرابعة , وقبل أن يصل الأولاد من المدرسة بقليل, وكان المتحدث هو (خالد).

- أيوه يا منال.
- خالد!! إزيك.
- الحمد لله ، داليا عندك طبعاً.
- أيوه يا خالد.
- هو إحنا مش هنخلص بقى؟
- يعني إيه؟
- يعني كل شويه تسيب البيت.
- هي مش عند حد غريب.
- مش فكرة غريب ولا قريب بس مش كل شويه تزعل.
- الموضوع المرة دي صعب يا خالد.
- يعني إيه؟؟
- يعني سيبها عندي يومين لغاية لما ربنا يسهل.
- ماشي يا منال بس لو ما رجعتش بعد يومين خليها عندك على طول , تطلع من عندك على لبنان.

- ربنا يصلح الأحوال.

أغلقت منال الخط وهي تشعر بشيء يجثم على صدرها ,فهي تعلم جيدًا أنَّ النهاية قريبة.

وعندما عاد الأولاد أخبرتهم منال أنَّ زوجة خالهما سوف تمضي عندهم عدة أيام, وترك لها حازم حجرته عن طيب خاطر, فهم جميعًا يحبونها ويحترمونها ويستمتعون بصحبتها.

وفي اليوم التالي - وهو يوم الجمعة- قررت منال أن يذهب الجميع لتناول الغذاء على البحر في النادي اليوناني ليستمتعوا بهواء الإسكندرية المنعش ,فربما يكون لذلك أثر في تهدئة النفوس ,وصفاء الجو, وكانت قد قررت أيضًا ألَّا تتحدث في الموضوع مع داليا حتى يذهبا بعد الغداء لزيارة أمها التي تريد أن تتكلم مع زوجة ابنها ، وكان الجو جميلًا حقًا, وحاول أحمد أن يكون عنصر تهدئة , فكان يفتح شتى المواضيع التي يمكن أن تجعل داليا تنسى هموها , ولحسن الحظ اختار أن يتكلم في الموسيقي, وهي عنصر مشترك بينه وبين داليا , يمكنه أن يغوص فيه ويشتت انتباهها عما يمكن أن يعكر صفو الجميع.

- أنتم عارفين إنَّ فيه حفل موسيقى عربية الإسبوع الجاي, فيه أغاني لفايزة أحمد.

- بس أنا مليش في فايزة أحمد قوي.

قالت داليا

- أنا كمان مكنتش بحبها وأنا صغيرة بس لما كبرت عشقت صوتها ، كفاية "أنا قلبي إليك ميال".

- والله طبعًا هي صوتها ليس عليه غبار.

- طيب يبقى تيجي معانا الإسبوع الجاي ، أنا أصلًا بروح مجاملة بس إنتي غاوية موسيقى عربية وأهي حاجة فيها تغيير.

دعتها منال من قلبها

- أوكي هحاول أسمع فايزه أحمد تاني.

- طب كويس ، يلا بقى يا أحمد احجز لنا 3 تذاكر ، على الأقل تلاقي حد يفهم زيك.

- بس مش عارفة بصراحة لو ده وقته ، أنا فعلًا مش رايقة.

- يبقى منال عندها حق ، دي فرصة علشان تروقي وتغيري وتسمعي شوية موسيقى نظيفة.

وبعد الغداء ، وصلهما أحمد لمنزل والدة منال وخالد وذهب يقضي بعد المشاوير ويحاول حجز تذاكر الأوبرا كي يعطيهم فرصه ليكونوا جميعًا براحتهم.

وكانت الأم في انتظارهم ، وهي سيدة تقارب السبعين من عمرها تتميز بهدوء، ووقار وفي نفس الوقت ينمُ صوتها وحركاتها عن أمومة دافئة، وحنان متدفق، وهي فعلًا تحب داليا، ولا سيما أنها ربتها منذ صغرها وعرفتها جيدًا كصديقة لابنتها ، وهي أيضًا لا يمكن أن تنسى أنها أمضت سنوات مع ابنها خالد وهي تعلم أنَّه لن ينجب ، لذا كانت الأم تريد أن تنحي عواطفها جانبًا وتحاول أن تكون عادلة بين ابنها وزوجته ، وهي كأم كانت بالطبع تتعاطف مع ابنها وتعلم أنَّ سبب تغيره هو اكتشافه لفقدان الأمل في أن يكون أبًا ، لكنَّها في نفس الوقت تتعاطف مع داليا التي قاست معه كثيرًا ، كما أنَّها في قرارة نفسها تعلم أنَّ من مصلحة ابنها أن تظل داليا معه ، ولكنها قد قررت هذه المرة أن تنحي عواطفها جانبًا وتحاول أن تكون عقلانية بقدر الإمكان.

- خير يا داليا؟ قولي لي يا بنتي إيه الموضوع المره دي؟

- مش فكرة الموضوع ؟ أنا متأكدة إنَّ منال قالت لحضرتك التفاصيل.

- آه فعلًا قالت لي.

- أنا مش عايزة أتكلم في اللي حصل تاني ؛ لإن مفيش فايدة.

- أُمال عايزه إيه يا حبيبتي؟

- من فضلك يا طنط أنا عايزه أتطلق ، أرجوكي مش قادرة أستحمل أكثر من كده.

- وتفتكري الطلاق هيريحك؟

سألت الأم.

- مش عارفة بس على الأقل هعيش في سلام ، أنتم مش مصدقين إني تعبت ، تعبت.

- يعني أنتي خلاص فعلًا مش بتحبي خالد؟

سألت منال بحزن شديد.

- مش فكرة حب.

ردت داليا في محاولة ألَّا تجرح شعورهم.

- أُمال إيه؟

سألت الأم.

- تعبت. To cut a long story short. مش هأقدر أكمل ولا أقوم بالدور المطلوب مني.

- طب وخالد رأيه إيه؟

سألت السيدة مرة أخرى.

- مش عارفة هو بيهرب كل ما أكلمه في الموضوع ده ، غالباً هو مش مصدق إن أنا فعلاً عايزة اتطلق.

- طب بصي يا داليا

بادرت منال

– أنا عندي اقتراح ، ممكن تنفصلوا مؤقتًا شوية ونشوف هيحصل إيه ، ممكن تقعدي عندي شوية.

- مش عارفة ، مش متأكدة إن ده هيكون حل ولا إنه هيعمل فرق.

- لازم تحاولي.

- الموضوع مش ساهل يا بنتي

قاطعت الأم

- إنتي مش فاهمة يعني إيه طلاق ويعني إيه خراب بيت بعد العمر ده كله.

- إدي نفسك فرصة.

ولم ترد داليا وإنما بدت عليها الحيرة.

- إسمعوا بقى ، حاولوا تستفيدوا من كلام اللي أكبر منكم ، أنا رأيي إن داليا تقعد عندي لمدة شهر أو اتنين وبعد كده تقرر ، علشان متندمش.

- والله عين العقل يا ماما.

- اسمعي كلامي يا داليا ، أنتي عارفة إن أنا عايزة مصلحتك.

- طب وخالد أقوله إيه؟

- إنتي ما تقوليش

قاطعت الأم

- أنا اللي هقوله ، هو جاي كمان شوية ، إنتم تنزلوا دلوقتي تروحي تجيبي حاجتك اللي محتاجاها وأنا هتصرف معاه ولمَّا ينزل هقولكم.

- فكرة ممتازة.

صاحت منال وكأنها وجدت طوق النجاة.

- يلا بينا.

وقد كان ، ونفذت الأم ما تريد ونزلت الصديقتان بسرعة حتى لا يراهما خالد إذا ما حضر ، وعندما رجعت لم يكن خالد موجودًا بالفعل ، وبعد أن ساعدت منال صديقتها في ترتيب حاجاتها ، تركتها ونزلت لتعود إلى منزلها مع زوجها.

- عملتموا إيه؟

سألها.

- ماما أقنعتها تقعد معاها شوية وبعد كده تقرر.

- كويس ، إنتي كمان لازم تشوفي حل مع أخوكي ، كده مش هينفع والله هيندم ، مراته ست كويسة ويتمناها رجالة كتير ، والله لو قعدت هتتجوز لازم يفهم كده علشان يعرف يسيطر على نفسه شوية.

- حاضر ، هحاول.

- ربنا يسهل ، هم الأولاد روحوا ولا لسة؟

- لأ هم مستأذنين يتأخروا شوية.

- أوكي

- لاقيت تذاكر للأوبرا؟

- طبعًا ، أصل لسة بدري.

- ماشي ، أنا هحاول أتكلم مع خالد وهحاول كمان أكون جنب داليا علشان متحسش بالوحدة.

- سبيها تحس بالوحدة علشان تعرف تقرر ، إنتي مش هتعيشي معاها.

- طيب ، بس على الأقل أكلمها في التليفون.

- آه طبعًا.

- عموماً أنا مش فاضية أصلاً الإسبوع ده ، عندي درسين وعندي خاتمة قرآن. ويمكن كمان أروح قاعدة كده مع جماعة صوفيين ، عايزة أعرف عنهم أكتر.

- يا دي الصوفية اللي قامت عليكي ، ما كفاية الدروس.

ابتسمت منال ولم ترد ,فأحمد لا يزال بعيدًا كل البعد عما تتكلم عنه , ولا يمكن له أن يفهم , وعادت منال إلى منزلها , وإلى عالمها الخاص الهادئ البعيد عن التوتر والنزاعات ، وعاد إليها سلامها النفسي بمجرد أن عادت إلى أولادها وصلاتها وعباداتها وقراءاتها الجديدة في الصوفية التي بدأت تجد فيها ملاذها من صخب الحياة , وما بين البيت والدروس والأولاد والصلاة وجدت نفسها تنسى مشكلة أخيها وزوجته ، فيؤنبها ضميرها ، وتقرر أن تتكلم مع خالد بشدة هذه المرة ، لكنها تؤجل الكلام إلى ما بعد حفلة الأوبرا لعلها تجد تغييرًا في موقف داليا , بعد أن بعدت عنه, فربما استعادت هدوؤها المعتاد, وفي الحقيقة , فإن منال تعلم جيدًا أنَّ شيئًا لن يتغير ، وإنَّما هي نفسها تؤجل المواجهة ليس إلَّا.

ولذا فإنها لم تشعر بالارتياح عندما حان يوم الحفل ، فقد كانت تشعر بأنَّ شيئًا ما يجثم على صدرها ، وزاد من هذا الشعور إحساسها بتأنيب الضمير حيث أنَّها كانت مدعوة لحضور جلسة دينية ذات طابع صوفي ، ولكنها اضطرت إلى الاعتذار ؛ كي تصطحب داليا للحفل في آخر محاولة لتخفيف الأمور.

وفي الحفل , لم تستمتع منال بالغناء على الإطلاق , وكانت تكاد تستغرب أو تشعر بالغربة حين تسمع تصفيق الجمهور الحاد ,وحين ترى تمايلهم على أنغام الموسيقي, وانجاذبهم إلى المطرب أو المطربة, وكانت تنظر إلى داليا وأحمد وهما في قمة الانسجام بالطرب ، فتشعر أنَّها غريبة , تحاول أن تسمع الكلمات لتتماشى معها ,وتحاول أن تشاركهما الشعور بالاستمتاع , لكنها لا تستطيع , ولم تشعر بالراحة إلَّا عندما فتحت الموبايل وبدأت تقرأ جزءًا من وِردِ الليل , ونقلتها كلمات القرآن إلى عالمٍ آخر,حتى أنَّها لم تعد تشعر بما حولها, ولم تنتبه إلَّا عندما ربت زوجها على كتفها ليخبرها بانتهاء الحفل.

وفي اليوم التالي , كانت منال تجلس مع أخيها في منزلها لتحاول أن تستشف منه ما يريد , وما يمكن عمله.

وفاجأها خالد

- مفيش طلاق forget it .

- يعني إيه؟

- يعني زي ما بقول وأعلى ما في خيلها تركبه.

- عيب كده يا خالد دي مش طريقة تفاهم ، قولي إنتَ عايز إيه بالظبط بالحسنى؟

- حسنى إيه؟

صاح غاضبًا

- هي عايزة تسيبني من غير سبب وتقوليلي حسنى

- جرى إيه يا بني؟ ما إنت اللي بتعاملها وحش.

- أنا مش بعامل حد وحش ومقولتلهاش تسيب البيت.

- أوكي يبقى نتفاهم بالعقل والهدوء.

- مفيش تفاهم غير لما ترجع بيتها ، هي كل شوية تهددني وتقولي طلاق.

- ما فيش تهديد والله بس الست تعبت فعلًا.

- ترجع البيت.

- ما أظنش إنها هترضي ترجع.

- يبقى مفيش تفاهم.

- خلاص يا خالد إنتَ حر. أنا عملت اللي عليا.

ونزل خالد غاضبًا , وما هي إلا دقائق قليلة حتى رنَّ جرس التليفون , ليخبرها صوت والدتها أنَّ خالد عندهم وفي حاله هياج شديدة, وهي لا تقدر عليه.

- أنا جاية حالًا.

وفي دقائق قليلة نزلت منال واتصلت بزوجها أحمد كي يلحقَ بها.

- معلش أنا عارفة إنك بتشتغل بس أرجوك إنتَ الوحيد اللي ممكن خالد يعمل حساب لوجوده.

- حاضر، أنا جاي حالًا.

وكما توقعت , وجدت خالد في حالة ثورة عارمة , ولا يستطيع أن يسيطر على نفسه , ووجدت أمها تبكي , فهي لا تحتمل ذلك , أما عن داليا فهي تلتزم حجرتها وتغلقها عليها ولا تريد الخروج.

- أنت كده بتدمر كل حاجة.

- أنا مش بدمر حاجه لكن لمَّا مراتي تلاقي أمي وأختي في صفها يبقى لازم تعمل أكتر من كده.

- هي عملت إيه؟

سألت الأم بانفعال شديد

- سابت البيت من غير حتى ما تعبرني.

- يا إبني أنا اللي قولت لها وطلبت منها تقعد عندي لغاية ما تهدأ علشان تتفاهموا.

- نتفاهم على إيه.

- على الطلاق يا خالد.

جاءه صوت منال عاليًا وواضحًا ومتحديًا وسمع صوت المفتاح في الباب وخرجت إليهم وعلى وجهها غضب وألم وإصرار.

- أنا حتى لو كنت ممكن أرجع في كلامي فأنت أكدت لي إن مفيش فايدة ، إنت حتى مش عامل احترام لمامتك.

- طلعي ماما برة الموضوع.

- بس إنت فعلًا في بيتي.

- اهدوا يا جماعة.

حاولت منال أن تسيطر على الموقف.

- أيوه اهدوا صوتكم في السلم.

جاءهم صوت أحمد بعد أن فتحت له الخادمة ، محاولًا هو الآخر تهدئة الموقف.

- أهلًا يا أحمد

رحبت به حماته

- شفت عمايل أخو مراتك.

- ولا عمايل ولا حاجة هو بس عايز يهدى شوية وإن شاء الله كل حاجه هتتحل.

- مفيش حاجة هتتحل.

قاطعت داليا بإصرار.

- يعني إنتي مصرة؟

صاح خالد.

- لو سمحت يا خالد ، أرجوك أنا شايفة مفيش حل غير كده.

- طيب لو إنتي مصرة خلاص ، بس لازم تتنازلي عن كل حقوقك.

جاءهم جميعًا صوت خالد , وكأنَّه يأتي من عالم آخر لا يعرفونه ولا ينتمون إليه جميعًا.

- إنتَ اتجننت

صاحت أمه.

- عيب كده يا خالد

تبعتها منال.

- معلش يا جماعة مايقصدش ، هو بس متنرفز.

- لأ أقصد ومعنديش غير كده.

- وأنا موافقة ومش عايزة منك حاجة ، المهم أخلص منك.

قالت باكية.

- تخلص مني أنا ، ده أنا اللي مش عايزك.

إزداد غضبه اشتعالًا وشعر بالإهانة في وسط الجميع ، ولم يشعر بنفسه وهو يتجه إليها ويحاول أن يدفعها بقوة ، لكن يد أحمد القوية منعته في آخر لحظة.

- أظن كفاية كده بقى

قال أحمد بحزم

- فيه احترام للبيت اللي احنا فيه ولوجودنا ، تعالى معايا ، تعالى ننزل دلوقتي وبعدين نشوف هنعمل إيه.

وسحبه أحمد من يده برفق حتى فتح الباب ونزلا.

ولم تتمالك الأم نفسها ,واجهشت ببكاء مرير, بينما تهاوت داليا على المقعد في أسىً واضح ,وهي تحاول أن تكبح غضبها , ومنال تنظر إليها في ذهول ,ولا تدري ماذا تقول, واستمر الوضع هكذا لمدة دقائق حتى قطعت داليا الصمت.

- أعتقد إن وجودي هناك ملوش معني وممكن يسبب مشاكل , فبعد إذنك يا طنط أنا لازم أمشي.

- لا يمكن

ردت الأم من بين دموعها

- مش ممكن تمشي , إنتي بنتي وأنا أمك وبعدين هتروحي فين؟

- هروح عند ماما.

- إنتي عارفة إنها تعبانة وإن البيت صغير وإنك مش هترتاحي هناك.

- بس هو ده الصح.

- لأ إنتي هتفضلي معايا حتى بعد الطلاق ، وكل حقوقك أنا هديهالك ، إنتي طول عمرك طيبة ومخلصة وإنتي عارفة أنا بحبك قد إيه.

- بعد إذنك يا ماما ، داليا هتقعد عندي أنا لغاية ما تتم إجراءات الطلاق وتعرف هتستقر فين علشان خالد كمان يهدى وما يفكرش يجيلها تاني.

- أنا موافقة

قررت داليا

- بعد إذنك يا طنط بس يومين لغاية ما أمهد الموضوع لماما وأشرف أخويا يجي من دبي ونشوف هنعمل إيه.

- زي ما إنتوا عايزين

قالت الأم بإذعان.

وبعد الطلاق , قامت منال فعلًا باستضافة داليا , وكانت تشعر بتأنيب ضمير حقيقي, فهي السبب في كل ذلك , وهي من أقنعتها في البداية بالزواج من أخيها , وهي أيضًا من عملت جاهدة كي لا يتم هذا الطلاق منذ عدة سنوات., فهل أخطأت ؟ هل تسببت في أذى صديقتها الصدوقة؟ هل جنت على صديقة عمرها؟ هل حرمتها من فرصة الزواج مرة أخرى؟ هل تسببت في عدم تحقيق حلم أي امرأة بأن تكون أمًا؟ هل يمكن أن تساعدها الآن؟ وكيف؟

- ضميري بيأنبني.

قالت لزوجها

- ليه؟

- حاسة إنِّ أنا السبب في اللي حصل لداليا.

- دي إرادة ربنا.

- ونعم بالله بس بصراحة حاسة بالذنب.

- حبيبتي إنتي عملتي اللي عليك وربنا عايز كده.

حاول أحمد أن يهدأ من روعها , فهو يعلم أنَّ زوجته دائمة اللوم لنفسها , وإنِّ ضميرَها يقظ ودائم التأنيب لها

- طب بص ، أنا عندي فكرة.

- خير؟؟

سألها بصبر.

- إحنا لازم ندور لها على عريس ، هي لسه قدامها فرصة وممكن تخلف والله.

- أيوة ! إحنا مين يعني؟

- أنا وإنتَ.

- إنتي آه ، بس أنا ممكن أعمل إيه يعني؟!

- أهو يعني تشوف حد من أصحابك ، انتَ لك معارف كتيرة ، وبعدين انت في مجلس إدارة النادي.

- و مال مجلس الإدارة ومال الموضوع ده ,هو بيورد عرسان؟

ضحك أحمد على سذاجة منال التي لا يغيرها الزمن

- لأ يعني ممكن تدخلها أي لجنة ، مثلاً اللجنة الفنية, أو الثقافية أو لجنة الحفلات, انتَ عارف إنَّ داليا فنانة وبتلعب مزيكا ، ومنظمة وذوقها راقي وممكن يكون ليها دور ، وبكده تتعرف على ناس جديدة.

- أوكي بس مين قالك إنَّها هتوافق؟

- أنا هأقنعها ، بس أرجوك اسمع كلامي.

- حاضر حاضر. ممكن بقى أنزل علشان عندي ميعاد مع مجلس الإدارة اللي بتقولي عليه ده ؟

- طيب مع السلامة.

وما إن خرج أحمد حتى جرت منال إلي الحجرة التي خصصتها لداليا ، ودقت الباب

- أيوه اتفضلي

جاءها صوت داليا.

- هتعملي إيه النهاردة؟

سألت منال

- ولا حاجة ، فيه حفل للأوبرا في قناة النيل ناوية أتفرج عليه.

- طب إيه رأيك تيجي معايا ؟

- فين؟

- أنا رايحة جلسة كده في بيت ناس معايا ، عاملين قعدة ذكر كده صغيرة.

- يعني حلقة ذكر

ضحكت منال

- يخرب عقلك هو إنتي مش هتبطلي.

- والله دي حاجة رائعة ، وبعدين أنا بحس بارتياح نفسي فظيع بعدها.

- طيب

ضحكت داليا من قلبها

- بس انتي عارفة أنا مش بتاعة كده.

- بس جربي.

- إن شاء الله المرة الجاية ، بس المره دي أنا عايزة أشوف الحفلة.

- يعني أسيبك لوحدك ؟ ده حتى الأولاد في دروسهم.

- منال

صاحت بحزم

- مش عايزة أحس إن أنا بقيدك ، أرجوكي سيبيني على راحتي.

- طيب ، طيب بس عندي لك اقتراح ثاني.

- خير؟

ابتسمت داليا.

- إيه رأيك إن أحمد ممكن يخليكي تشتركي في لجنة الثقافة أو الفن أو الحفلات في النادي؟

- وده ليه إن شاء الله؟

- يعني تغيير وبعدين تتسلي.

- ماشي ، بس ياريت اللجنة الفنية.

سعدت منال جدًا بهذه الموافقة السريعة وشعرت أنَّها بدأت شيئًا إيجابيًا.

- أوكي يا فنانة هتفق معاه.

وفي اليوم التالي على الفور ، كانت منال قد بدأت تريح ضميرها , حيث نجحت في أن يأخذ أحمد داليا معه إلى النادي للتعرف على اللجنة والاشتراك فيها, وحمدت الله أنَّ هذا اليوم صادف معاد اجتماعهم ، فهي تخشي أن ترجع داليا في كلامها , أو أن ينشغل أحمد , وعندما عادت داليا بدأت فورًا في استجوابها.

- مين بقى في اللجنة؟

- والله فيه حوالي 12 عضو.

- أيوه مين يعني؟

سألت بفضول واضح.

- يعني اقولك أساميهم كلهم؟

- لأ مش قصدي.

تراجعت بحرج.

- عمومًا بصي , فيه حوالي 6 رجالة و4 ستات و2 شباب , كويس كده , أنا شخصيًا عرفت منهم بس الدكتور على عبد السلام الأستاذ في معهد الموسيقى ونيللي محمود اللي كانت بتلعب باليه زمان.

- آه والله مش دي اللي كانت معانا في المدرسة؟

- أيوه هي فعلًا.

- طب عال عال الحمدلله.

- بصي يا منال ، أنا عارفة إنك بتحبيني وقلقانه عليا ، بس نفسي تطمني ، أنا والله كويسة.

- الحمدلله.

- أنا بس عايزة أبدأ أجهز الشقة القديمة اللي في سبورتنج علشان أنقل فيها ، أنا اتفقت مع أشرف.

- وتسبيني؟؟

لامتها منال بحب.

- حبيبتي أنا لازم استقل ، وبعدين إنتي ليكي جوزك وأولادك ملهمش ذنب.

- والله كلهم بيحبوكي.

- عارفه بس ده مايمنعش إني لازم أنقل لوحدي.

- طب هتعملي إيه؟

- مش عارفة ، لسة عايزه ابدأ في توضيب الشقة.

- طيب خلاص ، ممكن أحمد يساعدك ، هو عنده مهندس كويس وأنا شخصيًا بحب ذوقه ، استني هكلمه اسأله.

- ياريت!!

- وفي التو طلبت منال زوجها أحمد لتلحقه قبل أن يغادر المكتب.

- أيوه يا أحمد.

- أهلًا منال! إيه الاخبار؟

- أنا عارفه إنَّك مشغول.

- بصراحه آه ، فيه حاجة؟

- أبدًا ، بس كنت عايزه اسأل لو ممكن تساعد داليا في تجهيز شقتها في سبورتنج.

- يادي داليا ، حبيبتي أنا بطلت العمليات الصغيره دي من زمان.

- أيوه كان قصدي لو المهندس أسامه مثلًا ممكن يعملها لها وأنتَ مجرد بس تشرف من بعيد.

- حاضر يا ستي.

- شكراً يا حبيبي ،إمتى بقى؟

- بكرة خلي داليا تجيلي المكتب وأنا أعرفهم على بعض ، بس على فكرة هو متجوز

ضحك أحمد.

- عارفة, عارفة ، أنا بتكلم جد ، لو ممكن تأخذها بكرةعلى سكتك كتر خيرك.

- أوكي بس تكون جاهزة الساعة 9 ، باي باي بقى عندي شغل.

والتفتت إلى داليا في سعادة.

- خلاص بكره إن شاء الله تصحي بدري وتنزلي مع أحمد على مكتبه علشان يعرفك على المهندس وتبدأي في تجهيز كل حاجة.

- مش معقول يا منال إحنا بنتعب أحمد بجد.

- ولا تعب ولا حاجة ده أنتي أختي يا بنتي.

وبدأت داليا فعلًا بعد يومين في تجهيز الشقة , وبدأت تنشغل بشدة فهي تريد أن تخلصها في أسرع وقت ، وكثر غيابها عن المنزل ما بين الشقة والعمل واللجنة, وبدأت منال تشعر فعلًا أنَّ داليا كانت محقة في قرار النقل , فبالرغم من حبها لداليا إلَّا أنَّها لابد أن تعترف أنَّ غيابها المتكرر جعلها ترجع مرة أخرى إلى خصوصيتها , وإلى وتيرة ونظام حياتها المعهود , لكنَّها كانت دائمًا حريصة على أن تكون في انتظار عودة صديقتها المتعبة , لتساعدها وتخدمها من قلبها , وشددت على أحمد الذي كان قد بدأ يتملل من الوضع أن يساعد داليا قدر المستطاع , وأن يشعرها هو الآخر بالاهتمام.

- علشان خاطري خليك معاها ، دي كلها إسبوعين تلاتة والشقة تخلص وتروح بيتها.

- حاضر, حاضر ، أنا مش عارف ألاحق على الشقة ولا على شغل اللجنة بتاعتها.

- طب وإنت إيه اللي تعبك في اللجنة؟

- بصراحة داليا عاملة فيها شغل كويس جدًا ، بس كل شوية تستشيرني ، وأنا مش فاضي ، بس لازم أعترف إنَّها رفعت رأسي قدام أعضاء اللجنة.

- طيب الحمد لله.

- عمومًا الإسبوع الجاي فيه الحفلة السنوية للجنة الفنية ، وهنشوف بقى ترتيبات صاحبتك.

- دي يوم إيه؟

سألت باهتمام.

- يوم الجمعة الجاية.

- بس أنا عندي زياره للمرسي أبو العباس مع الجماعة.

- اعتذري.

رد باقتضاب.

- أعتذر!!

- طبعًا أولًا أنا لازم أروح بصفتي مسئول عن اللجنة وحضرتك مراتي ولا أروح لوحدي؟ وبعدين داليا صاحبتك وعاملة شغل جامد.

- بس أنا عايزه أروح أبو العباس.

- خلاص ابقي روحي لوحدك مرة ثانية.

- طيب ربنا يسهل.

وجاء يوم الجمعة, وبدأ الجميع في الاستعداد للحفل الغنائي الكبير، وانشغل الجميع بتجهيز ملابسهم وأنفسهم , فذهبت داليا للكوافير, وحتي الأولاد بدأوا في تجهيز أنفسهم للذهاب مع والدهم ووالدتهم. وفي تمام السابعة كان الجميع جاهزًا, ولكن منال لم تكن في المنزل أصلًا.

- اتأخرتي.

سألها أحمد في الموبايل.

- أنا آسفة جدًا ، أصل الحلقة طولت ، عمومًا اسبقوا أنتم وأنا هحصلكم.

- يعني إيه ؟! ده الأولاد خلاص راحوا مع أصحابهم ، إنتي كده متأخرة قوي.

- سوري والله بس روح أنتَ وداليا وأنا إن شاء الله هقابلكم هناك.

- طب هتغيري هدومك إمتى بس؟

- ما تقلقش ، أنا لابسة وجاهزة.

- طيب من فضلك متتأخريش.

وبدأ الحفل ، وجلس أحمد على المنضدة المخصصة للجنة وبجانبه كرسي منال ، وبدأ الغناء وكانت الفرقة هي فرقة الموسيقى العربية بأغانيها الجميلة لأم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم ، واستمتع أحمد بالموسيقى , وهام معها ,حتى أنَّه لم يشعر بغياب منال إلَّا عندما لمح عباءتها السوداء الفضفاضة وطرحتها المنسدلة على صدرها ، وابتسمت له معتذرة عن تأخرها , وهي تجلس بجانبه في هدوء.

وفي فترة الاستراحة , ظهرت داليا على المسرح لتقدم فقرة تسليم الجوائز لأعضاء اللجنة ومجلس الإدارة الذين تكبدوا عناءً شديدًا أثناء السنة , كي يحافظوا على النشاط الفني في النادي, وسعدت منال جدًا بأناقة داليا الواضحة , وبجمالها الذي بدأ يتوهج مرة أخرى, وتذكرت أيام الدراسة, ووقوفهما معًا على مسرح المدرسة, وازداد شعورها بالارتياح , وبأنَّها قد ساعدت داليا قدر استطاعتها, ونجحت في أن تجعلها ترجع لطبيعتها وبهجتها, وصفقت بحماس شديد حين نادت داليا اسم أحمد ليتسلم جائزته , وأسعدها أن تراه هو الآخر على المسرح, وحمدت الله كعادتها على كل هذه النعم , ولم

تندم أبدًاعلى تأخرها عن الحفل كل هذا التأخير , وأمضت النصف الثاني من الحفل ولسانها يلهج بحمدالله وبأذكار المساء وبالتسبيح , ولم تشعر كعادتها إلَّا ودواليا تخبرها بانتهاء الحفل , وبأنهم ذاهبون جميعًا للعشاء في مطعم النادي.

- روحوا إنتم ، أنا خلاص تعبت وأفضل أروح.

- يا منال ما ينفعش كده ، أحمد يزعل.

- يا داليا أنا في الشارع من الصبح ، مش قادرة أنا هعتذر لأحمد.

وكان رد أحمد هادئ جدًا وغير متوقع على الإطلاق

- مفيش مشكلة ، وبعدين بصراحة أنتي لبسك غير مناسب على الإطلاق.

في الواقع ,فإن منال شعرت بهدوء وراحة شديدين عندما عادت إلى منزلها , وجلست في شرفة حجرتها تسبح ربها ,وتحمده وتشكره , فهي تشعر أن ضميرها بدأ يرتاح تجاه داليا , وزاد هذا الشعور بالارتياح في الأيام التالية , حين شعرت بتحسن حالة داليا النفسية وبارتفاع معنوياتها , وهي مشغولة أكثر وأكثر باللجنة الفنية التي فجرت الفن الكامل بداخلها , والذي كادت أن تنساه وتدفنه بداخلها في السنوات الماضية , كم كانت سعادة منال عندما أخبرتها داليا أنَّها ستقوم بعزف بعض المقطوعات الموسيقية في حفل اللجنة القادم.

- الله ، برافو عليكي. كان فين الفن ده كله؟

- مش عارفة ، بصراحة أنا كنت تقريبًا قربت أنساه وعندي لك مفاجأة تانية كمان.

- خير؟؟

- إن شاء الله هنقل لشقتي الإسبوع الجاي.

- مبروك ، بس بجد هفتقدك ، إحنا خلاص اتعودنا عليكي.

- والله وأنا كمان ، بس هو شيء لابد منه.

وفعلًا انتقلت داليا إلى الشقة الجديدة, وبرغم شعور منال أنَّها تفتقدها إلَّا أنَّها سعدت بعودة الخصوصية إلى حياتها , وبدأت تستعيد روتينها اليومي , وفي نفس الوقت شعرت أنَّها أدت واجبها تجاه داليا على أكمل وجه, ويمكنها الآن أن تتفرغ لعبادتها ولبيتها وأولادها وجلساتها الدينية ، واكتفت بالسؤال على داليا تليفونيًا , لا سيَّما أنَّها بدأت تشعر بانشغال صديقتها بحياتها الجديدة , ومر الوقت ومنال تزداد انشغالًا بأمورها الشخصية والحياتية , إلى أن استدعتها والدتها لزيارتها للنقاش في موضوع هام.

- إيه يا ماما قلقتيني ، فيه إيه؟

- لا أبدًا مفيش قلق.

- أمال ليه مقولتليش في التليفون؟

- أبدًا , بس قلت نتكلم face to face وبعدين وحشتيني.

- والله وإنتي كمان يا ماما.

- ما إنتي كل وقتك ضايع بين البيت وبين الدروس.

- معاكي حق ، أنا آسفة .

قبلت منال رأس والدتها معتذرة بحب.

- قوليلي بقى فيه إيه قلقك؟

- أبدًا, بس حاسة إن فيه حاجة غريبة متغيره في داليا.

- يعني إيه؟

- يعني مش بتسأل عليا زي الأول ومش دايمًا بترد على تليفوناتي.

- قصدك إيه؟ أنا مش واخدة بالي.

- طبعاً مش هتاخدي بالك ، هو إنتي فاضية لحد؟

- معاكِ حق, طب إنتي قصدك إيه؟
- مش عارفة!! بس فيه حاجه غريبة. تفتكري بتفكر تتجوز؟
- ياريت يا ماما ، هي دي حاجه تزعلك؟
- والله يا بنتي ما أنا عارفة ، بس هو حقها.
- عمومًا هحاول أعرف.
- طيب بصي ، أنا علشان أخلص ضميري ، فيه مبلغ عايزة ابعتهولها.
- مبلغ إيه؟
- بصراحه أخوكي ظلمها ظلم كبير ، وأنا ضميري مش مرتاح , وحاسة إنِّ ربنا هيعاقبه علشان كده عايزه أخلص من الموضوع ده.
- أوكي هاتيه ، أنا هوصلهولها.
- طيب ده شيك بالمبلغ ، اديهولها.
- حاضر يا ماما. إستني هأطلبها.

وأمسكت منال بالموبايل وطلبت رقم داليا لكنَّها لم ترد.

- شوفتي ، مش قولتلك فيه حاجة.
- يا ماما

ضحكت منال

- أكيد مشغولة ، أصل عندها يا ستي حفل موسيقي.
- طيب ، ربنا يقدم اللي فيه الخير.

لكن منال رجعت إلى منزلها وبداخلها مشاعر مرتبكة ، هل تنوي داليا الزواج فعلًا؟ إنَّ حدس أمها كان دائمًا صحيحًا, ولكن هل يمكن ألَّا تخبرها منال ؟ وعندما لم ترد عليها استرعي انتباهها فجأة أنَّهما لم تتكلما منذ ما لا يقل عن إسبوعين ، هناك شيء غريب فعلاً, وهل إذا كانت داليا تنوي الزواج فإنَّ هذا يسعد منال حقًا؟ لقد فوجئت أنَّها غير متأكدة أنَّها ستكون سعيدة ، إنَّها طالما سعت لذلك وتمنته ولكن مجرد الإشارة إليه على أنَّه حقيقة فإنَّ ذلك جعلها تشعر بالانزعاج والقلق ، فقد تذكرت أخاها. فمهما حدث فهو أخوها وهي تحبه وتريد أن تحافظ على شعوره ، وعندما فاتحت أحمد فيما تشعر به جاءها الرد

- يا ستي اتمني لها الخير ، إن كانت هتتجوز ربنا يسعدها.

- أيوه بس المفروض تقولي ، كنت هفرح لها.

- هي حرة ، مش يمكن العريس مش عايزها تتصل بيكم ؟ مش يمكن هي بتحاول تبني حياتها من جديد وتنسى الماضي كله؟

- يعني أنا اللي هقف في طريقها؟

علقت بأسىً واضح.

- لأ بس هي من حقها تستقل وتنسى ، سيبوها في حالها.

- حاضر, عمومًا أنا معايا شيك من ماما عاوزة أوصلهولها في رأيك أعمل إيه؟

- كلميها.

- كلمتها ومش بترد.

- شوفتي هي عايزه تبقى على حريتها ، عمومًا حاولي توصليلها الشيك.

- أنا معرفش أوصلها إزاي ، أرجوك تساعدني.

- أنا؟؟

سأل منزعجًا.

- لو سمحت حاول تبعتهولها مع أي سواق أو موظف من عندك.

- حاضر

وافق على مضض.

- أشكرك بجد.

- آه بس دي آخر مره أتدخل في المواضيع دي.

- حاضر

وحاولت منال أن تنسى أو تتناسى الموضوع ، وإن كان في الحقيقة يقلقها ويزعجها ،ولكنها عندما ما يشغلها من أمورها الشخصية التي يمكن أن تجعلها فعلًا تنسى.

وبعد حوالي إسبوع جاءتها مكالمة من داليا أخيرًا ، وسعدت منال وهي ترى اسم داليا يظهر في الموبايل لأول مرة منذ فترة غير عادية بالنسبة لهما ، ورغم أنَّ المكالمة جاءت وهي في جلسة العلم إلَّا أنَّها استأذنت من الشيخ وخرجت من حلقة العلم لترد خصيصًا على داليا.

- أيوه يا داليا ، إزيك.

- إزيك إنتي.

- فينك؟ وحشتيني.

- وإنتي كمان.

- ليه مش بتردي عليا؟

- أبداً والله كنت مشغولةعلى الآخر وغالبًا بكوِّن في بروفة علشان الحفلة.

- آه ، طيب معلش.

- عمومًا أنا عندي كام حاجة عايزه اقولها لك.

وحبست منال أنفاسها في انتظار الأخبار.

- خير؟

- أولاً الشيك وصلني ومش عارفة أشكركم إزاي؟

- العفو. ده حقك.

- بجد ده كتير. من فضلك شكريلي طنط.

- طب ما تكلميها.

نصحتها باستغراب شديد.

- إن شاء الله هكلمها ، بس اشكريها لغاية ما أكلمها.

- حاضر يا ستي.

- تاني حاجة ، أنا كنت عايزاكي تحضري الحفلة بعد بكرة علشان دي إن شاء الله هتكون آخر مرة ليا.

- ليه؟

سألت منال على استحياء وهي تتوجس من الإجابة.

- أصل أنا إن شاء الله هنقل القاهرة.

- فعلًا هتتجوزي؟

ردت منال في سرها.

- أنا أصلي هشتغل هناك.

- تشتغلي!؟

رددت باندهاش.

- آه ، في مدرسة كبيرة في التجمع ولقيت فيها شغلانة كويسه جدًا.

- التجمع!!

صاحت منال بأسي.

- آه.

- يعني هتسيبينا؟

- أه ، شر لابد منه.

- ليه يا داليا ؟ هو احنا ضايقناكي في حاجة؟

- أبدًا بس لازم أبدأ ابني حياتي من جديد.

- وهتيجي كل قد إيه؟

- بصراحة مش عارفة لسه شوية ، هو أنا لسه روحت.

- يعني مش ناويه تيجي؟

- ربنا يسهل ، إن شاء الله أشوفك في الحفلة.

- هحاول.

- أوكي

أغلقت منال الموبايل وهي تشعر بأسى شديد, فهي فعلًا حزينة, إنَّها حقًا تحب داليا ,ولا تستطيع أن تتخيل حياتها بدونها, إنَّها وإن كانت لم تعد تتكلم معها أو تراها كما كانت في الماضي,إلَّا أنَّها كانت تشعر دائمًا أنَّ داليا موجودة , ويمكن الوصول إليها , أما الآن فقد شعرت بوضوح أن داليا لا تريد أن تستمر علاقتهما كما كانت في الماضي. وكل ذلك بسبب خالد. ليته ما تزوجها, ليتها ما تسببت في تعارفهما أصلاً, شعرت منال بفراغ

شديد وألم اشد, فهي حزينةعلى صداقة العمر. ولم تستطع أن تتمالك نفسها, فانهمرت الدموع من عينيها , ولم ترجع إلى حلقة الدرس , لكنَّها توجهت إلى منزلها لتجلس وحدها في حجرتها وتراجع نفسها وتلومها , وإن كانت لا تعرف بالضبط علام اللوم.

وجاء يوم الحفل , وحرصت منال على حضوره حتى أنَّها استأذنت مبكرًا من درسها المفضل لتستطيع حضور الحفل من بدايته ، وجلست مع أحمد على المائدة الرئيسية لتشاهد صديقة عمرها , فيما كان لها بمثابة حفل وداع ، وبدأت داليا في العزف ، وكان عزفها جميلًا رقيقًا ومرحًا, ذكَّر منال بأيام صباهما معًا ، وكانت داليا في قمة أناقتها وتوهجها ، كانت السعادة تبدو عليها واضحة ، ولاحظت منال نظرات إعجاب الكثيرين بداليا ، حتى أنَّ أحمد نفسه كان لا يستطيع إخفاء نظرات الإعجاب ، ولم يثر ذلك حفيظة منال بأي صورة ، لكنها اضطرت أن تعترف لنفسها بأن داليا عادت كما كانت في الماضي ، وكأنَّها جوهرة كانت مغطاة بالغبار, فلمَّا نفض عنها التراب عاد إليها بريقها ، واهتز وجدان منال , بل وكيانها كله عندما بدأت داليا تعزف لحن أهواك الذي طالما استمعتا إليه وهما صغيرتان في المدرسة، وكانت داليا تعزفه ومنال تحاول الغناء معه ، وسبحت منال في بحر الذكريات البعيدة.

لكن الحفل سرعان ما انتهى , واختفت داليا , حتى أنَّها لم تحاول أن تسلم على منال, ربَّما كان ذلك أحسن , فمنال تعلم أن صديقتها حساسة ,وأنها لن تتحمل مثل هذا الوداع , بعد كل المشاعر الجيَّاشة التي أثارتها الموسيقى.

ومرت الأيام , واختفت داليا أو كادت, فهي لا تتصل بمنال أبدًا , وإن بادرتها منال بالاتصال فقد ترد أو لا ترد, وكانت معظم المكالمات سريعة , بل ومقتضبة , إلى أن جاء اليوم الذي جاءها فيه الصوت المحبط يقول

- هذا الرقم خارج الخدمة.

وهنا أيقنت منال أنَّ داليا قد تعمدت تغيير رقمها , مما يعني أنَّها لا تريد أن يكون لها أيُّ صلة بمنال ، ورغم الحزن فإنَّ منال قررت عدم محاولة الاتصال بصديقتها , فربَّما كان أحمد على حقٍ عندما طلب منها أن تتركها في حالها لتعيد ترتيب حياتها , ولتعيد هي الأخري ترتيب أولوياتها فإنَّ زوجها وأولادها بحاجة إلى كل وقتها ومجهودها , خاصَّة وإنَّ حلقات الذكر ودروس الدين تأخذ منها الكثير من الوقت , ولكن المشكلة الحقيقية هي في انشغال الجميع عنها , فابنها الكبير قد دخل الجامعة الأمريكية , والصغير رياضي

من الطراز الأول وليس لديه أي وقت لأي شيء, حتى أحمد فقد ازداد انشغاله عنها بعد أن كبرت أعماله وبدأ في مشروع جديد على أطراف القاهرة قبل مدينة الشيخ زايد ، فهو إمَّا في الطريق من و إلي المشروع أو يبيت في الشيخ زايد إذا ما تأخر في عمله.

- حرام عليك أنتَ بجد بتبذل مجهود كبير.

بادرته ذات يوم.

- قصدك إيه؟

- قصدي الشغل والسفر والمشاوير ، طب ممكن ترتاح إمتى يعني؟

- طب أعمل إيه؟ مشروع الشيخ زايد ده مهم جدًا وهينقلنا نقلة تانية خالص.

- بس إحنا كويسين الحمدلله.

- الأولاد بتكبر وطلباتهم كثير ، وكفاية مصاريف الجامعة الأمريكية ، دي لوحدها مصيبة.

- معاك حق

تنهدت منال

- الموضوع فعلًا مش ساهل ربنا يقدرك علينا.

- متشكر يا حبيبتي ، ودلوقتي ممكن لو سمحتي اتعشى؟

- حالًا يا حبيبي.

وهكذا انتظمت وتيرة الحياة , وازداد انخراط منال مع الصوفيين , وحلقاتهم , و أذكارهم ومشايخهم , لكنها أبدًا لم تهمل دورها كزوجة أو أم , فعندما يتواجد زوجها أو أولادها كانت دائمًا حريصة على القيام بواجباتها نحوهم وخدمتهم , لكنَّها لم تكن تجدهم حولها طيلة الوقت, فكثيرًا ما كانت تجد نفسها وحيدة ، لكن وردها وأدعيتها وأذكارها كانوا دائمًا ما يملؤون هذا الفراغ ، وكانت أسعد لحظات حياتها هي التي

تمضيها في زيارة الأولياء الصالحين وأهل البيت حيث تبتهل إلى الله وتتضرع إليه وتطلب منهم الشفاعة.

وكانت في قمة سعادتها عندما قررت المجموعة الذهاب إلى القاهرة لزيارة سيدنا الحسين والسيدة زينب في نفس اليوم ، فما أروع هذا اليوم , وقد استعدت له بكل الطرق من قراءات وترتيبات وتجهيزات لمبيت ليلة في القاهرة ، وأسعدها بل أراحها وجود عمر في معسكر تمرين طويل وسفر أحمد عدة ليالٍ إلى الصعيد ، فكأنَّ هذه الرحلة الروحية الجميلة مباركة من الله تعالى.

فاستيقظت منذ فجر يوم الزيارة، وبعد قضاء الصلاة وإتمام الأدعية والأوردة , نزلت في تمام السابعة لتلحق بأصدقائها في النادي , حيث ينتظرهم الأتوبيس السياحي الذي سوف ينقلهم إلي القاهرة.

وكانت تشعر بهدوء نفسي غريب وسعادة غامرة وهي تستقل الأتوبيس مع إخوانها في الله ، وكان كلٌ يسبح في ملكوته ,ما بين داعٍ يدعو الله, ومبتهل إليه , وسائلٍ للمدد من آل البيت ونائمٍ يحلم بالزيارة المرتقبة ، إلى أن جاءهم صوت المسؤول عن الرحلة.

- يا جماعة اصحوا, الساعة 10, وإحنا وصلنا خلاص ,إيه رأيكم نفطر الأول علشان نرتاح وما نضيعش وقت بعد كده؟

- طيب.

وجاءت الهمهمات , معظمها موافقة.

- نروح أركان وكل واحد يختار المكان اللي عاوزه ، هنوصل هناك قبل 10:30 ، عندنا لغاية 11:30 نفطر ونجدد الوضوء وإن شاء الله صلاة الظهر في الحسين.

ونزل الجميع في نشاط , وتفرقوا في أنحاء المكان, واختارت منال هي وثلاثة من صديقاتها أو أخواتها في الله مقهى معروف ليتناولوا فيه المشروبات والإفطار.

- فكرة هايلة.

بادرت منال

- فعلًا

- أيوه لازم نرتاح وندخل الحمام ونتوضأ.

ونزلت الطلبات, وبدأوا يرتشفون النسكافية والقهوة , ويتناولون التوست بأنواعه.

- الساعة 11:30.

صاحت إحداهن.

- يا خبر

ردت منال

- يادوب نلحق , أنا هروح الحمام وكمان أجدد الوضوء ، حد ييجي معايا.

- إسبقي إنتي.

وهرولت مسرعة, وأزاحت طرحتها, ورفعت أكمام العباءة ,وبدأت الوضوء بسرعة في دورة المياة , وما أن انتهت حتى بدأت صديقاتها في اللحاق بها.

- إحنا اتأخرنا

قالت منال

- بصوا أنا هسبق على الأتوبيس علشان أقولهم إنكم جايين.

وفعلًا خرجت بسرعة متجهة إلى الأتوبيس , وبينما هي تهرول خارج باب المقهى إذا بها تتعثر وترتطم بعربة أطفال صغيرة تدفعها أم الطفلة النائمة في العربة.

- آسفه جدًا

اعتذرت منال, وبينما هي ترفع رأسها لتبتسم إلي الأم إذا بها تُفاجأ بداليا صديقتها تدفع العربة باهتمام.

- داليا!؟

- منال!؟

- إنت بتعملي إيه هنا؟

سألت منال باندهاش.

ولمَّا لم تجد ردًا سألت مرة أخرى, برقه شديدة.

- دي بنتك؟

- أيوة.

- مبروك يا حبيبتي ألف مبروك

قالت من قلبها

- كده يا داليا ما تقوليش إنك إتجوزتي ولا إنَّ عندك بنت جميلة كده ، برضوا كده , إزاي؟

ولم تتمالك انفعالتها فانسابت الدموع من عينيها لتغطي ابتسامتها الحنونة.

- آسفة ,غصب عني, معلش.

تلعثمت داليا.

- معلش يا حبيبتي معلش ، أكيد غصب عنك.

- غصب عني.

أطرقت داليا

- عمومًا أنا مستعجله جدًا ، لازم أمشي ، ممكن تليفونك.

- أنا هتصل بيكي.

وفهمت منال الرسالة ، فابتسمت قائلة

- إن شاء الله

وأسرعت إلى الأتوبيس.

وفي الحسين, جلست وحدها ,بعد صلاة الظهر, وأخذت تشكر الله على النعمة التي أنعم بها على داليا , فقد كان واضحًا أنَّ هذه المقابلة في هذا اليوم بالذات إنَّما هي تدبير من الله , فهو يريها دلائل قدرته, فقد دبَّر الأمور لداليا حتى ليتعجب أصحاب الحيل , إنَّها حقًا قدرته سبحانه وتعالي, وأخذت تدعو الله أن يسعدها وأن يصلح أحوالهما معًا ويهدي لها زوجها وأولادها وصديقتها الحبيبة.

لكن كل ذلك لم يقضِ على شعورها بالألم الشديد عندما عادت إلى منزلها في الليل ، فعندما وجدت نفسها وحدها بين جدران حجرتها ، اكتشفت أنَّها لا تستطيع النوم ، فقد هالها وآلمها بُعد صديقتها عنها بهذا الشكل ، إنَّها لا تدرى ما الذي فعلته لتستحق كل هذا الجفاء , ولماذا تصر داليا على مقاطعتها؟ فأين الخطأ؟ وما الذي حدث؟ لقد كانت تحب داليا بصدق , وكانت دائمًا تتمنى لها الخير من قلبها وتحاول مساعدتها بقدر ما تستطيع فماذا حدث؟ وهكذا ظلَّت منال تفكر وتتساءل وتحاول الفهم؟ لكنَّها لم تتوصل إلى أي إجابة , وظلَّت على هذه الحالة حتى غالبها النعاس فنامت وشعورها بالحزن يزداد.

وفي الصباح , قررت أن تنسى كل ذلك ,وأن تحاول التغلب عليه , وساعدها على ذلك رجوع زوجها أحمد من السفر, حيث رجع قبل معاده الطبيعي بيومين , ولما رأته منال حكت له ما حدث , ووصفت له شعورها والحزن الذي يعتصرها , ثم أبلغته بقرارها وطلبت منه أن يساعدها.

- طبعًا هو ده القرار الصح ، أنا قولت لك قبل كده انسي داليا دي خالص.
- حاضر ، أنا فعلًا لازم أسمع كلامك.
- عمومًا أنا عندي لك مفاجأة.
- أيه هي غير إنَّك رجعت بدرى ، فيه حاجة تانية؟

- آه , أنا حجزت لنا 5 ايام في مرسى مطروح ومعانا الأولاد , وكمان كلمتهم واتفقت معاهم , أنا كنت حاسس إنك تعبانة ومحتاجة أجازة.

- بجد !؟ دي حاجة حلوة جدًا, بس المدارس والكليات؟

- بصي أنا ربّطت مع الأولاد خلاص , وهنروح يوم الخميس ، أحلي حاجه مطروح في آخر سبتمبر فاضية والجو حلو.

وفعلًا , وبدون أي استعدادات , وجدت منال نفسها في منتجع جميل على مشارف مطروح ، وكان الجو جميلًا, والسماء صافية , والبحر هادئ , كان كلُّ شيء مثاليًا إلى أقصى درجة , فالأولاد فعلًا تركوا كل شيء وسافروا معهم , وأحمد يعاملها برقة شديدة , وبحنية تقرب إلى التدليل ، فشعرت منال أنَّها في قمة سعادتها , وفي خضم استمتاعها بكل ما حولها تمكَّنت فعلًا من نسيان حزنها , وانغمست في شعورها بالاستمتاع بعائلتها الصغيرة, فكانت تشاهد ولديها وأبوهما وهم يستمتعون بالبحر والسباحة ولعب الراكيت وركوب الـ Jet ski, كانت تطرب لسماع صوت ضحكهم , وتستمتع بنظرات السعادة والمتعة في أعينهم, ورجع بها الزمان إلى بداية زاوجهما وحبها لأحمد , وإلى احتضان أبنائهما وهما بعد طفلان صغيران.

وانتهت الإجازة بأسرع ما يكون , وحان وقت العودة , وبقدر شعور منال بالحزن لانتهاء هذه الرحلة السعيده بقدر شعورها بالسعادة أن أمضت مثل هذا الوقت الجميل الذي افتقدته من مدة دون أن تدري وفي اليوم السابق للرحيل أخبرها أحمد.

- على فكرة أنا مش راجع معاكم بكرة.

- ليه؟ فيه حاجة؟

- أبدًا عندي شغل هنا ، فيه مشروع جديد بدرسه وعندي اجتماعات خاصة بيه.

- في مطروح؟

تساءلت باستغراب.

- آه. دي محافظة المستقبل ، والشغل فيها واعد جدًا.

- طيب هنعمل إيه؟

- أبدًا ممكن حازم يرجع بيكم بكرة وأنا أخلي السواق يجيلي يأخدني بعد 3 ايام.

- زي ما تحب ، بس أنا ممكن أستنى معاك.

- لأ طبعًا , أنا مش هكون فاضي خالص , وبعدين مش عايز الأولاد يرجعوا لوحدهم, مش هكون مطمن.

- أوكي زي ما تحب , أنا برضوا أحب أكون معاهم في الطريق.

وقد كان, وسافرت منال مع أولادها في صباح اليوم التالي وهي محملة بالذكريات السعيدة ومليئة بطاقة إيجابية عالية ، وما إن وصلت بيتها حتى قررت تحويل هذه الطاقة إلى فعل خير لترضي ربها وتشكره على كرمه , فقررت أن تبدأ بزيارة أمها , وهناك فاتحتها فيما كان يدور بخلدها منذ مدة.

- ماما ، إنتي مش شايفة إنَّ خالد لازم يتجوز بقى.

- والله يا بنتي ياريت ، بس فين العروسة؟

- فيه عرايس كتير.

- بس إوعي يكونوا من بتوع الصوفية بتوعك , خالد ملهوش في الكلام ده.

- والله فيه منهم بنات وستات كويسين جدًا.

- عمومًا أهو عندك كلميه ، أساسًا بقاله مدة مجاش.

- طب بصي ، إيه رأيك؟ هكلمه وبكره نتغدي سوا في النادي ونفاتحه في الموضوع.

- ماشي.

وتم الاتفاق مع خالد , الذي لم يكن متحمسًا للقاء, ولكنَّه وافق عليه بعد إلحاحٍ شديد , وأجل المعاد يومين واتفقوا جميعًا على الغداء في النادي يوم الأحد في الرابعة ، ورغم أنَّه

كان يصادف معاد رجوع أحمد من مطروح , إلَّا أن منال وافقت حرصًا منها على صلة الرحم وعلى لقاء أخيها الذي مازالت تحبه رغم تغيره بشده.

وقبل أن يحين الموعد , جلست تفكر مع نفسها , هل ما تفعله صحيح؟ هل هي محقة في التفكير في أخيها وفي محاولة أن تزوجه مرة أخرى؟ هل يستطيع التغلب على حدة طبعه التي اكتسبها؟ هل سيدرك قيمة زوجته أكثر هذه المرة ؟ لقد اشفقت عليه هو وأمها , فلم تذكر لهما شيئًا عن داليا , ولا عن زواجها , ولا ابنتها, لم ترد أن تجرح شعورهما ، فأمها رغم حبها لداليا إلَّا أنَّها أم خالد وستحزن لأجله.

ولكن كيف يمكن أن تضمن هي خالد مرة ثانية؟ إنَّها تحبه , ولكنها تخافه ولا تثق به ، لكنَّها يجب أن تحاول معه , وربَّما يكون قد تغير بعد أن ذاق معنى الوحدة , لكنَّها يجب ألَّا تجعله يخوض تجربة أخرى إلَّا بعد أن تتأكد من مشاعره وحالته النفسية تمامًا.

وكعادتها استيقظت في فجر يوم الأحد, وبعد إتمام الصلاة بدأت في ترتيب المنزل وتجهيز الطعام لأحمد الذي أخبرها أنَّه سيصل إلى مكتبه أولًا , ولن يكون في المنزل قبل السادسة , وقررت أن يكون لقاؤها مع خالد في منزل أمهما ؛ حتى تتمكن من العودة إلى منزلها قبل رجوع أحمد.

وبينما هي ترتب أحوالها رنَّ جرس الموبايل ورأت صورة خالد , فأدركت أنَّه كما هو متوقع سوف يعتذر عن الميعاد , وبقدر غضبها شعرت بالارتياح , لأنَّ المعاد ليس مناسبًا تمامًا في الأصل.

- آلو

جاءها صوت خالد مقتضبًا.

- إزيك, إيه الاخبار؟

- إنتي فين؟

سألها.

- في البيت برتب الدنيا.

- والأولاد؟

- حازم في القاهرة وعمر في المدرسة.

- طيب أنا جايلك في الطريق.

- دلوقتي؟ مش لسه بدري ؟

- معلش. إستنيني أنا جاي على طول.

وأغلق خالد الخط , وتوجست منال ، فماذا يريد؟ ولما يغير المعاد؟ وما الأمر؟ ما الذي حدث هذه المرة؟ وهل علم بزواج داليا؟ أم هل قالت له أمهما عن نية منال في أن تقنعه بالزواج؟ على كل حال ستنتظره ولن تزعج أمها , وفعلًا ما هي إلَّا دقائق حتى كان جرس الباب يرن ووجدت خالد أمامها.

وكما توقعت كان شكله في قمة الاضطراب والتوتر.

- مالك إيه اللي حصل؟

بادرته بهدوء.

- مش عارف أقولك إيه؟

- فيه إيه؟

سألت وقد بدأت تتوتر بدورها.

- ماما كويسه؟ أنا ما كلمتهاش ، فيه إيه؟

صاحت بلهفة.

- مكتب أحمد اتصل بيه ، هو عمل حادثة, هو والسواق, وحاليًا في المستشفي.

ولم تتمالك منال نفسها من الصدمة , وشعرت بالدنيا تدور بها للحظات , لكن يد خالد سندتها , وأجلستها على أول كرسي.

- امسكي نفسك , إحنا لازم نروح له.

- طب حالته إيه بالضبط؟؟

- مش عارف , مفهمتش حاجه منه , تعالي بس زي ما إنتي.

ودفعها خالد دفعًا حتى ترتدي طرحتها وتنزل معه , ولم تكن تعي ما يحدث حولها , وكأنها في كابوس مزعج , وهي تعلم أنَّه سينتهي , لكنه لا ينتهي , ويأتيها صوت خالد من عالم آخر وهما في السيارة.

- أنا اتصلت بحازم وهو راجع من القاهرة ، واتصلت بمدرسة عمر وبعت عربية من المكتب تجيبه.

- ليه كل ده؟؟

تساءلت بهدوء وكأنّها غير مدركة لمَّا يحدث.

ونظر إليها خالد بشفقة واستغراب في نفس الوقت , شاعرًا إلى أيٍّ مدي هى بالفعل غير مدركة خطورة الموقف.

- ده أبوهم ، ولازم يكونوا معاه الحالة صعبة.

قال في حسم.

ومع ذلك لم تدرك منال هول الموقف إلَّا بعد أن وصلت إلى المستشفي ، وهناك وجدت أمَّها في انتظارها , ومعها خالاتها وإبنة خالتها وإبن خالها ، وهنا انقبض قلبها تمامًا ولم تسأل عن شيء, بل لم تتكلم من أصله , ولم تشأ أن تنظر إلى أيٍّ منهم حتى لا ترى أعينهم , ولكنها لم تستطع أن تصم أذنيها وهي تسمع الكلمات القاطعة.

- شدي حيلك.

- البقاء لله.

- "إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون".

وكانت الصدمة , ولم تشعر منال بعدها بأيِّ شيءٍ.

وعندما أفاقت وجدت نفسها في إحدى غرف المستشفى , وحولها أناس لا تتبين وجوههم , وهم يتحركون حولها كالأشباح.

- أنا عايزه أروح.

كان كل ما استطاعت أن تقول , ولم يملك أحد إلَّا أن يلبي طلبها , وبدأت نساء العائلة في اصطحابها إلى المنزل.

- أنا عايزة أشوف ولادي.

كان تاني طلب لها.

- في المستشفى

قالت خالتها

- سبيهم مع خالهم وعمهم , فيه إجراءات يا بنتي, ودول رجالة ربنا يحميهم.

- طب أرجوكم سيبوني لوحدي ، أرجوكم اطلعوا برة عايزة أكون لوحدي.

- حاضر.

ردت خالتها التي تخبرها جيدًا وتفهمها وتعلم أنَّها تعني ما تقول.

وعندما أصبحت وحدها نظرت حولها في ذهولٍ , ثم انهمرت دموعها أخيرًا , وسجدت على الأرض داعية ربها أن يقويها ويلهمها الصبر والإيمان والثبات.

واستمر الوضع على هذا الحال لمدة إسبوع , الكابوس لا ينتهي , والعزاء مستمر, والسواد يحيط بها وأصوات البكاء وكلمات المواساة لا تنتهي, وهي ممزقة بين حزنها وفجيعتها , وبين محاولة التمسك بالإيمان والثبات , عسي الله أن يجزيها خيرًا , لكنَّها لا ترتاح وحزنها لا ينتهي ، والألم يزداد , وشعورها بالوحدة يزداد رغم كلِّ من حولها , إنَّها حتى لا تجد من ترتاح بين أحضانه بالرغم من محاولات الجميع أن يشعروها بالحنان والاحتضان ، لكنَّها أبدًا لا تجد في هذه الدنيا ما يعوضها ولا تشعر أنَّ أحدًا يفهم طبيعة

حزنها ومحاولتها التغلب عليه , إنَّها تريد أن يتركها هؤلاء الناس وحدها, لكنَّها لا تستطيع أن تصرح بذلك.

وبينما هي في حجرتها وحدها , وقد هدأ الوضع قليلًا , بعد حوالي عشرة أيام , وقل المعزون, فلم يعد هناك سوي أمها وخالتها الصغري ليكونوا معها , وقد رجع الأولاد إلى دراستهم بعد جهاد وإلحاح منها ، وبينما هي في هذه الحالة ، إذا بجرس الباب يرن كالمعتاد , وكالمعتاد شعرت بالضيق الشديد , فهي لا تريد أن ترى أحدًا, وكفاها ما هي فيه , لكن خالتها تطرق باب حجرتها وتنادي عليها.

- يا منال ، تعالي داليا جات تشوفك.

وكأنَّ هناك همًا قد أُزيحَ , وعبأً قد قلَّ حمله , فلولا حزنها لتغلبت سعادتها ولعبَّرت عن فرحتها التي لم تستطع أن تكتمها , فها هي داليا صديقة الطفولة , ها هي صاحبتها التي طالما افتقدتها والتي تفهمها بدون كلام.

وشعر الجميع بارتياح وهم يرون منال تفتح باب حجرتها بترحاب لأول مرة منذ وفاة زوجها.

وما إن رأت داليا حتى ارتمت في حضنها بدون كلام , واجهشَّت بالبكاء الشديد , وتعانقتا , واختلطت دموعهما , ثم بدأ الوضع يهدأ ، وتركهما الجميع معًا , وحدهما في غرفة المعيشة.

- إتأخرتي عليا.

همست منال.

- معلش ظروف

جاءها الرد مقتضبًا.

- معلش معلش.

- أرجوكي تهدى شوية.

قالت داليا راجية.

- أنا هادية والله ، بس غصب عني.

وأمسكت منال دموعها , وكفَّت عن البكاء , وجلست على المقعد في محاولة لتهدئة مشاعرها

- أنا مش جايه أعزيكي.

أعلنت داليا بحسم.

- مش فاهمة!؟

- أنا جاية أقولك حاجة مهمة.

- فيه إيه؟؟

- بصي أنا مش هعرف اشرحلك ، بس أرجوكي بصي على الورقة دي.

وناولتها داليا ورقة مطوية , أخرجتها من ظرف كان معها في حقيبة يدها.

- أيوة, إيه دي؟

- إقريها.

- دي شهادة ميلاد.

تمتمت منال باستغراب.

- من فضلك اقرأي الأسماء.

- رناؒ مين رنا دي؟

- رنا دي بنتي اللي شوفتيها معايا.

- مش فاهمة.

- إقرأي اسم الأم والأب.

- الأم: داليا.

- والأب؟؟

- أحمد؟! أحمد عبد اللطيف؟! مين ده ؟ مش فاهمة؟!.

- أحمد عبد اللطيف الشربيني.

- يعني إيه؟

- يعني رنا تبقي بنت أحمد.

- مش فاهمة؟!

- يعني دي قسيمة جوازي أنا وأحمد.

وناولتها داليا الورقة الثانية , لكن منال لم تتمكن أن تمسكها , ولم تحاول قراءتها.

- برضوا مش فاهمة!!.

- مش فاهمة إيه؟ أنا وأحمد متجوزين بقى لنا 4 سنين, ورنا بنتنا.

- مش معقول!؟

صاحت في ذهول.

- أنا آسفة بس هي دي الحقيقة , أنا استنيت لما حالتك تتحسن علشان أقولك , ومينفعش أستنى أكتر من كده.

- .....

- هنعمل إيه دلوقتي؟ لازم الكل يعرف , ده شرع الله.

- .....

- ردي عليا.

- .....

- من فضلك ردي.

- .....

ولم ترد منال , ولم تنبس ببنت شفه , ولم تنطق بكلمة واحدة ,ولم ترد على أي شخص آخر, ولم تنطق بأي كلام ثاني , ولم تجب أحدًا بعد ذلك اليوم , ولم يعلم أحدٌ بما يدور في خلدها , ولم يتمكن أيُّ شخص أو أيُّ شيء من إقناعها بالخروج من صمتها الرهيب الذي أصبح ملازمًا لها , بعد أن فقدت قدرتها على النطق والتواصل مع البشر, فلم تعد تستطيع أن تناجي إلَّا ربَّها الذي لا يحتاج إلى كلام.

جميـل جمـال

وقفت جميلة أمام المرآة لتلقى نظرةأخيرة على مظهرها , قبل أن تذهب لحضور فرح ابنة خالتها ملك، نظرت إلى صورتها في المرآة برضا وسعادة,وقد راحت تضع اللمسات الأخيرة في زينتها. وهي تعلم جيدًا أنَّه ليس في الإمكان أبدع ممَّا كان .

فالفستان الأسود الأنيق يبرز مفاتن جسمها الرشيق، والمكياج الذي وضعته بدقة واهتمام يزيد من جمال وجهها وبريق عينيها. أمَّا الكوافير فقد قام بالفعل بمهمته على أكمل وجه ,وأثبت كما هي عادته دائماً أنَّ الشعر تاجُ المرأة بحق ، فما بالك إذا كانت المرأة أصلًا جميلة.

اسمها جميلة ,وهي فعلاً جميلة ,تتميز ببشرة بيضاء لامعة كالشمع ,ويضيء نورَ وجهها ، عينان خضراوتان واسعتان , يخطف بريقهما الأبصار بلا منازع. ويزيد الكحل الأسود من إبراز جمالهما, ويزيد من جمال وجهها أنفها الصغير المنمق, وفمها المرسوم بريشة فنانٍ مبدعٍ ,فسبحان الخلَّاقِ ,أما شعرها الذهبي, فينسدل على كتفيها في انسيابيه ونعومة حريرية.

هي تعلم أنَّها متميزة وأنَّ جمالَها مبهرٌ, فألوانها المختلفة كافية لجذب انتباه أيِّ شخصٍ يراها ، ولطالما شعرت بذلك منذ صغرها, فقد اعتادت سماع كلمات الإطراء والمديح منذ نعومة أظافرها. وهي لم تحتج أبدًا أن تبذل أي مجهود معنوي أو جسدي لتلفت الانتباه , فهي ملفتة بل وأخَّاذة بدون مجهود, قد تدلُ حركاتها ولفتاتها عن شيءٍ من الغرور, لكنها لا تتعمد ذلك أبدًا, إنها فقط تحب الاستمتاع بجمالها ,وقد اعتادت الاستماع لكلمات الإطراء ,والاستمتاع بنظرات الإعجاب ,وهي في نفس الوقت لم تجد بعد الشخص الذي تشعر أنه يستحق أن توليه اهتمامها , وتغدق عليه بمشاعرها وجمالها, ولذا فهي مستمتعة تمامًا بحياتها كما هي في الوقت الحاضر.

- انتي جاهزة.

جاءها صوت أمها من خارج الغرفة ليوقظها من أحلامها ويقطع حبل أفكارها.

- أيوه يا ماما جاية.

- طب علشان مانتأخرش ، خالتك لوحدها.

خرجت جميلة من غرفتها لتأخذ رأي أمها في مظهرها ، وإذا كان هناك ما ينقصها.

- الله يا حبيبتي ، بجد جميلة جدًا انا خايفة تغطي على العروسة.

وبهذه الكلمات الرقيقة عبرت الأم عن مشاعرها وعن إعجابها بابنتها وبجمالها الأخَّاذ ، واتَّجه الجميع إلى قاعة الفرح ومعهما أخاها عمرو ووالدها.

كان الفرح في قاعة فخمة في فندق "هيلتون كينجز رانش" في كنج مريوط ,وكانت جميلة ، قد اتفقت مع مجموعة من أصحابها أن يمضوا الليلة هناك ,فقاموا بحجز غرفتين واحدة للبنات والأخرى للشباب, كي يتمكنوا من تمضية الوقت معًا في اليوم التالي للفرح.

أما الفرح نفسه ,فقد كان فرحًا أنيقًا بسيطاً غير مُبالغٍ فيه, وكانت العروس في قمة تألقها بفستان الزفاف الأبيض الدانتيل ,ونظرت إليها جميلة معترفة بجمالها ,وخاصةً أنَّها ابنة خالتها ,وهي حقًا تحبها, لكنها كانت تدرك تمامًا أنَّها لو كانت مكانها فستكون أكثر جمالًا وإشراقًا, وكلَّما تمنَّى لها أحدٌ مستقبلًا جميلًا, أو قال لها "عقبالك" , كلما كانت جميلة تشعر أنَّ حلمها بالعريس المرتقب ,والفرح , وفستان الزفاف يقترب منها ، لكنَّها تعلمُ أيضًا أنَّ مثيلاتها يجب أن يتروين, ويأخذن وقتهن في الاختيار, حتى يكون الاختيار الأمثل والأجدر.

كانت جميلة مبتهجة ,وسعيدة ,ومستمتعة بكل شيءٍ حولها ,وكان معها صديقتها الحميمة سلمى وباقي صديقاتهما,فريدة ونهى وغيرهن ،استمتع الجميع بالفرح, بالزفة المبهجة ,وبالموسيقى الصاخبة ,والأغاني الراقصة, وبدأ الجميع يتراقصون في وسط القاعة على أنغام الموسيقى, وكلٌ يستمتع بطريقته الخاصة من رقص وغناء وتمايل واشتراك بمجرد التواجد والمشاهدة فلكل شخص طريقته في المشاركة والتعبير عن السعادة.

وكانت جميلة تستمتع بالرقص والتمايل ,وهي تقف في وسط حلقة من صديقاتها مع العروس , وهي تعلم جيدًا أنَّها محور اهتمام ,وأنَّ جمالها يجعلها محور جذب لنظرات الشباب بالأخص, لم تكن جميلة تستمتع بتلك النظرات ,إلَّا لأنها تعبر عن إعجاب ,وتزيد من شعورها بالثقة , وبالإحساس بجمالها, إنَّها لا تستمتع بهؤلاء الشباب , ولكنها تستمتع فقط بنفسها.

وعند افتتاح البوفيه ,وجدت جميلة نفسها تتنقل بين المناضد لتسلم على الأقارب والمعارف الذين لم تتمكن من الاختلاط بهم وقت الموسيقى والرقص , وفي كل مرة تسلم على أحد الأقارب , تسمع كلمات المديح والإطراء والأمنيات الجميلة, إنَّها تشعرُ وكأنَّ

هي العروس ,فهي تخطف الأضواء من الجميع, وتتنقل بين المناضد كالفراشة الزاهية ,التي يخطف جمال ألوانها الأبصار.

- إنتي اكيد بنت سها.

قالت لها إحدى السيدات بابتسامة عريضة

- آه فعلاً.

أومأت جميلة.

- إنتي مش عارفاني.

ابتسمت جميلة في محاولة للتعرف على السيدة الأنيقة.

- أنا طنط منى ، كنت جارة مامتك وخالتك طول عمرنا في رشدي.

- آه فعلا ماما كانت بتحكي لى عنك.

- بس أنا بقى كنت صاحبة خالتك أكثر. وده إبني عمر. تعالى يا عمر أعرفك على إبنه أصحاب العمر.

وتقدم شاب وسيم ,طويل القامة ,عريض المنكبين ,ذا إبتسامة ودودة ومد يده إلى جميلة مرحباً.

- وإنتي في سنه كام بقى دلوقتي؟

تساءلت طنط منى.

- أنا في ثالث سنة.

- كلية إيه؟

سأل عمر.

- أنا "بزنس" في الأكاديمية. وأنتَ؟

- لأ أنا صيدلي خلصت. عندي صيدلية صغيرة في سموحة.

- فعلاً

تمتمت جميلة.

- برافوا عليك.

- طب يلا شدي حيلك وخلصي إنتي كمان.

قال ضاحكاً.

- إن شاء الله.

- طب إيه رأيكم تعملوا أطباق من البوفية قبل ما يخلص

نصحت الأم

- يلا يلا روحوا على طول.

ووجدت جميلة نفسها تذهب إلى البوفية مع الشاب الوسيم عمر التي كانت قد تعرفت عليه في الحال. وبعد أن انتقيا ما يريدان من الأطعمه دعته جميلة إلى الجلوس معها على منضدة أصدقاءها. وبدأت تعرفه عليهم فهذه سلمى صديقتها وزميلة دراستِها، وهذه فريده ونهي ونرمين إبنة خالها، وهؤلاء هم أصدقائهم وأصدقاء العريس سيف وأشرف وايمن. ومر الوقت سريعاً ولم يفارقهم عمر حيث إندمج مع الجميع بسهولة وبساطة وكانت جميلة قد شعرت بحإستها السادسة إن عمر معجباً بها. فهو يتقرب إليها ويتكلم معها طيلة الوقت. وفي نهاية الفرح تبادل الجميع أرقام الموبايل وعرف عمر أنهم ينوون المبيت في الفندق.

- والله برافوا عليكم. كان نفسي أنزل البسين.

- خلاص تعالي بكرة.

دعاه سيف.

- مش عارف لو ينفع.

- بكره الجمعة

قالت نرمين

- وراك إيه؟

- طيب إن شاء الله هحاول.

ولم تعلق جميلة خشية أن يعتقد إنها تبادله الإهتمام. فهي تعلم جيداً أنه آتٍ من أجلها. ولكنها لا تريد أن تشعره بأي أهمية. وفي اليوم التالي إستيقظت جميلة لتجد أن عمر قد حاول الاتصال بها على الموبايل.

- كلميه.

قالت فريدة.

- لما أفطر وافوق كده.

- حرام عليكي علشان يلحق ييجي.

قالت نرمين إبنة خالها.

- طيب طيب. مستعجلين على إيه. مش لازم يحس بالأهمية.

- تصدقي إنك غلسة فعلاً

ردت نرمين

- أنا هأكلمه علشان يلحق وأمسكت بموبايل جميلة وطلبت الرقم.

- صباح الخير.

- صباح النور.

جاءها الرد.

- أنا قلت اطلبك علشان جميلة لسه نايمة وإحنا عايزينك تيجي.

- أنا كمان نفسي آجي بس للأسف مش هأقدر.

- ليه؟

سألت بإهتمام حقيقي.

- أصل بابا تعبان قوي ومش هأقدر اسيبه لوحده.

- خير. سلامته. فيه إيه؟

- والله مش عارف بس غالباً هنروح المستشفي.

- ألف سلامه

رددت نرمين

- ربنا يطمنكم عليه. على كل حال هأتصل بيك علشان نطمأن عليه.

- متشكر جداً.

- طيب باي باي دلوقتي علشان ما نعطلكش.

- باي باي وسلمي لي عليهم كلهم.

أنهت نرمين المكالمة ونظرت إلى جميلة بتأنيب

- شفتي إنك بايخة الولد بيتكلم علشان يعتذر عن المجيء لأن باباه مريض ويمكن يروح المستشفي.

- طيب

ردت جميلة ببرود

- نبقى نسأل عليه إن شاء الله. تعالي بقى نروح نفطر.

- أنا فعلاً جعانة.

أعلنت سلمى.

وذهب الجميع لتناول الإفطار في مطعم الفندق.,وحول المائدة جلس الجميع ,يتناولون الطعام في جو من المرح. ونظرت جميلة إلى سيف صديق العريس وصديقهم جميعاً. إنه الوحيد الذي يستهويها أحياناً ويجذب إنتباهها. إنه ليس في مثل وسامة شاب مثل عمر ,لكنه يتمتع برجولة واضحة في الشكل والشخصية معاً وسمار بشرته وخشونة ملامحه يحيطونه بهالة من الرجولة الجذابة. لكن جميلة لم تسمح بكل ذلك من التمكن منها. فهو وإن كان يعجبها إلا إنه لن يسيطر على مشاعرها أبداً.

فهي لم تعتاد ذلك ,وانما هي تدرك جيداً إنها تستطيع لفت انتباهه وقتما تريد. لكنها لن تفعل ذلك ,لأنه بصفة عامه لا يميل إلى الإهتمام بالبنات, فهو يركز تركيزاً شديداً في دراسته , وفي رسالة الماجستير التي يعدها في طب الأسنان. لذا فقد قررت ألا تلتفت إليه كثيراً حتى يلتفت هو إليها في الوقت المناسب. لكنه مازال يثير إعجابها.

- كان فرح حلو.

علق أشرف صديقهم.

- والعروسة كانت زي القمر.

أردفت سلمى.

- والعريس كمان.

أعلن أيمن ضاحكاً.

- يا سلام!! هو في أحلى من العروسة.

أعادت سلمى.

- وفستانها. بجد كان رائع.

أضافت نرمين.

- يا سلام على البنات

صاح سيف بغلظته المعهودة

- هو يعني الفستان أهم حاجة.

- أمال إيه؟

سألت جميلة بإستعجاب.

- يعني المهم إنهم اتجوزوا وربنا يستر.

- يستر إزاي؟

قالت باندهاش.

- قصدي يعني بصراحة الجواز بقى صعب قوي الأيام دي.

- يا ساتر عليك يا سيف

عنفته جميلة

- وهو إنت مش هتبطل كلامك الدبش ده ابداً.

- والله ما اقصد.

- بأقولكم إيه المهم ربنا يسعدهم. ياللا بقى علشان نلحق ننزل البسين علشان الـcheck out الساعة 3 بالظبط.

- يلا بينا.

قام الجميع متوجهين إلى حمام السباحة الشاسع ,وبدأوا في الإستلقاء حوله في محاولة للإستجمام والإستمتاع بالشمس والجو الجميل. ثم بدأوا ينزلون المياة الواحد تلو الآخر ,وأمضوا وقتهم ما بين السباحة والغطس واللعب حتى الظهيرة. ثم قاموا متثاقلين, حين

حان وقت الرحيل ,وتمنى الجميع لو يطول بهم الوقت ليستمتعون بالمياه والصحبة الحلوة,ولكن الوقت أزف ,ويجب عليهم أن يستعدوا لمغادرة الفندق, خاصةً وإن عليهم الذهاب إلى كلياتهم وأعمالهم في اليوم التالي.

وفي المساء, جلست جميلة مع والدتها أمام التلفزيون كعادتهم, وبدأوا يتجاذبون أطراف الحديث.

- كان فرح جميل

قالت الأم

- إن شاء الله كده أعملك فرح زيه وأحسن بس إنتي شدى حيلك.

- يعني أعمل ايه؟

تساءلت ساخرة.

- ولا حاجه. عايزين بس عريس كويس وربنا يسهل.

- إنتي عارفه إن أنا مش مستعجلة.

- طبعاً يا حبيبتى. أنا بهزر. كل شئ بأمر الله.

- إن شاء الله.

- قولى لى.

تساءلت الأم إيه أخبار أصحابكم.

- الحمد لله

تمتمت جميلة

- بس نسيت أقولك إنى اتعرفت على عمر إبن طنط منى جارتكم زمان.

- والله. وشكله إيه بقى.

- بصراحة هو حلو جداً بس أنا مش عارفة ليه دمه مش خفيف على قلبى.

- لازم ذوق ومهذب. خليكي إنت في أمثال سيف بتاعك. عمرى ما شفت واحدة غاوية غلاسة.

- دي مش غلاسة. هو فعلاً فيه رجولة وخشونة كده مش عامل زى البنات.

- والله إنتي عجيبة.

- عموماً ما تقلقيش. أنا لسه ما وقعتش في غرامه.

- ربنا يستر

- - دعت أمها

- - احكي بقى على عمر.

- أبداً. واضح جداً انه بيدور على عروسه وإن مامته بترسم عليه علشان كده عرفتنا على بعض وسابتنا لوحدنا.

- جميل.

- هو إيه اللي جميل؟ ده فضل معانا طول الفرح وكان عايز ييجي النهاردة الصبح ينزل معانا البسين.

- طب وليه مجاش.

- أصل باباه تعبان ويمكن يروح المستشفي.

- طب وسألت عليه.

- بصراحة لأ. ردت جميلة بعدم إهتمام.

- طيب. أنا هأكلم خالتلك وآخذ نمرة مامته وأسأل عليهم. بصراحة كده ده عريس ممتاز وهو ده اللي يستاهلك.

- ماشي يا ماما. تصبحي على خير.

- وإنتي من أهله.

ردت الأم.

****

وبدأ موسم الامتحانات. وجميلة تكره هذه الفترة منذ أن كانت صغيرة. فهي لا تهوى الدراسة والمذاكرة، والامتحانات تحرمها من أشياء كثيرة ومن متع أخرى تحبها. ولكن لابد مما ليس منه بد، فيجب أن تنجح على الأقل كي تظل مع صديقاتها وزملاءها وكي تنتهي من المذاكرة إلى الأبد. وهي لا تفهم مثلاً كيف أن صديقاتها سلمى وفريدة يحبون المذاكرة ولا يجدون فيها أى مشكلة بل أن سلمى تكاد تستمتع بها وتكرس لها معظم الوقت بدون غضاضة. أما هي فتشعر بعبء ثقيل ملقى عليها طيله فترة الامتحانات.

قامت في الصباح متثاقلة تجر قدميها إلى الحمام لتغسل وجهها وتستعد لليوم الشاق وتبدأ في العد التنازلي حتى يوم الامتحان.

- صباح الخير.

قالت أمها.

- صباح الخير.

ردت بتجهم.

- مش حتتغيري أبداً

- - ضحكت الأم

- - من صغرك وإنتي كده.

- قصدك ايه؟

- أبداً بس خلاص لبست وش المذاكرة وكأنك داخلة معركة.

- بصراحة المعركة أرحم. على كلٍ مافيش حل. المهم أنجح زي كل سنة.

- إن شاء الله.

- لازم تعترفي إنني في الآخر بنجح.

- طيب. يلا تعالي الفطار جاهز. إنتي متأخرة. باباكي وأخوكي خلاص راحوا شغلهم من بدري.

- حاضر .. حاضر.

وبعد الإفطار, توجهت جميلة إلى غرفتها, نظرت إلى كتبها في ملل, فتحت نافذة الغرفة ليدخلها الشمس والهواء ,ثم اتجهت إلى CD-Drive واختارت CD مفضل لها, وبدأت تستمع إلى أغاني عمرو دياب, نظرت إلى صورتها في المرآه بعدم رضا ,ثم مشطت شعرها ,وربطته أستيك صغير, ثم ألقت على نفسها نظرة أخرى في محاولة للبحث عن جمالها وبريقها المعتاد. ولكن هيهات فالمذاكرة, والمذاكرة, والمذاكرة تطفيء أي بريق وجاءها صوت أمها.

- يا بنتي بتعملي إيه إحنا بقينا الساعة 12 وإنتي لسه ما عملتيش حاجة.

- طيب بس هأصلي الظهر الأول.

وجاء آذان الظهر, فتوضأتْ وصلت, وأخيراً جلست إلى كتبها ,تحاول أن تحصل منها ما يمكن لها تحصيله من الدروس.

وبعد ساعة ,خرجت من غرفتها ,وذهبت إلى أمها التي تعد طعام الغذاء في المطبخ.

- مش عايزة مساعده؟

- والله !! فعلا؟؟

- آه. بجد.

- يا بنتي روحى خلصى اللي وراكي.

- هأريح شويه.

- يعني بذمتك شكلي كده أحلى ولا وأنا في فرح ملك مثلاً.

- دي حاجة ثانية وبعدين إنتي حلوة على طول. يلا بقى.

- حاضر.

وهكذا ,مر الصباح, وجميلة تستذكر دروسها ,وتحاول الهروب منها في نفس الوقت ,وتحلم بالأجازه وتتذكر يوم فرح إبنة خالتها, وتتذكر ما حدث فيه ,وكيف أمطرها الجميع بنظرات الإعجاب, وتسرح جميلة ما بين عمر الذي لا يداري إعجابه بها, وسيف الذي يجذبها برجولته وبروده الغير معقول , فهي لا تدري كيف لا تستطيع لفت انتباهه, لكنها على كل حال لم تستخدم كل أسلحتها معه ,فهي لا تأخذ الموضوع بجد , حتى الآن , وتحاول جميلة أن تركز مرة أخرى, فهي تذاكر مادة هامة وان كانت دمها ثقيل. وهكذا يمر الوقت بين المذاكرة ,والسرحان ,والموسيقى ,حتى تسمع صوت أمها يدعوها أخيراً إلى تناول الغذاء, فقد عاد أخوها من عمله وأصبحت الساعة الخامسة.

وضحك عمرو بصوت عالي عندما رآها تخرج من غرفتها.

- إيه البؤس ده يا بنتي. ماكنش إمتحان ده.

- يادمك

- - بادرته

- - أصلك نسيت لما كنت بتذاكر.

- ولا نسيت ولا حاجة. ده أنا عندي مذاكرة النهاردة بالليل.

- يعني إيه.

سألت أمهم.

- يعني البروجيكت بتاع الشركة أصعب من أي مذاكرة. وبعدين أصحابي هييجوا النهاردة الساعة 9 علشان نسهر عليه ونخلصه بقى.

- طيب لو هتحتاجوا حاجه قولولي.

- يعني ,حاجه ساقعه وهنطلب ديليفري.

- طيب وأنا هأروح عند سلمى علشان أعرف أركز.

- أوكي يلا بقى الغدا جاهز.

دعتهم أمهم.

وفي حوالي السابعة كانت جميلة فعلاً عند سلمى صديقتها ,حيث كان الجو مختلف تماماً, فليس هناك عمرو دياب, إنما هناك جو إستذكار ,ومشروبات, وكيك, وأجواء مذاكرة حقيقية.

- بأقولك ايه.

بادرت جميلة وهي ترفع عينيها عن الكتاب بعد نصف ساعة.

- أيوه.

ردت سلمى بإنزعاج واضح.

- فاكره عمر.

- عمر مين؟

- اللي كان في فرح ملك.

- آه. ماله؟

- معجب بيا.

- جميلة

صاحت سلمى

- أنا عايزة أذاكر.

- هو إنتي مش بترتاحى ابداً.

- أرتاح من إيه. هو إحنا لحقنا.

ضحكت سلمى.

- طيب خلاص. كملي.

وفعلاً كملت سلمى في محاولة لإستعاده التركيز, وإستمر الوقت يمر بطيئاً على جميلة,ولم تستطيع السكوت أكثر من نصف ساعة أخرى.

- هو فاضل كام يوم على الامتحانات؟

سألت.

- أسبوع والله العظيم أسبوع.

- طيب ... طيب... خلاص أنا أسفة.

قالت بملل.

- بصي

- أنا هأروح أذاكر في السفرة. قررت سلمى وهأرجع لك بعد ساعه.

- أنا فاضلي حتة صغيرة.

- طيب.

- ضحكت جميلة

- ركزي ... ركزي.

وخرجت سلمى من غرفتها إلى السفره ,و وقبل أن تنتهي الساعه كانت تسمع صوت جميلة تثرثر مع أمها.,فضحكت بدون إستغراب يوفهي تعلم طبيعة جميلة صديقة عمرها التي لا يشغلها سوى الـ Make upوالـ fashion وجمالها الشخصى, وبعد دقائق كانت جميلة تقف أمامها

- أنا نازلة. كفاية كده.

- فعلاً. عملتِ مجهود فظيع النهاردة.

ضحكت سلمى بحب

- والله بجد خلصت "Chapter" كامل.

- طيب كويس.

- باي باي.

قالت جميلة , ونزلت مسرعة, كي تمشى حتى منزلها في نهاية الشارع.

لم تستغرب سها عندما عادت جميلة مبكراً, فهي تعلم إنها لم تكن تستطيع أن تصبر أكثر من ذلك ,في أجواء المذاكرة والامتحانات.

- خلصتم؟

سألت سها

- أنا خلصت. جبت آخري.

- طيب عايزة تتعشى.

- ياريت.

- طيب ,ممكن تساعديني أجهز العشا ,أصل اخوكي معاه ثلاثه من زمايله في الشركة ,بيحضروا بروجيكت على ما اعتقد.

- والله ,فيه حد نعرفه؟

- شايفه أحمد.

- طيب, هأسلم عليه, بقى لي مده ماشوفتوش.

- برده هتيجي تساعديني لما تخلصي.

- طيب حاضر والله.

وهربت جميلة من مساعده أمها, ودقت باب حجرة الجلوس لتسلم على أحمد زميل أخوها وصديق العائلة.

- إزيك يا أحمد.

- أهلاً جميلة, فينك ,بقالي مدة ما شفتكيش.

- يا ترى بتعملوا إيه.

سألتهم.

- بنعمل بروجيكت للشركة لازم يخلص الأسبوع ده.

- آه.

- طيب مش تسلمي على الباقين.

قاطعهم عمرو

- طب عرفنى عليهم.

- دي ماريان زميلتي.

وإبتسمت جميلة ,ومدت يدها لفتاه جميلة ,ذات عينين واسعتين ,سوادهما لا يختلف عن سواد شعرها الطويل وبادلتها ماريان بإبتسامه ودودة.

- أهلاً جميلة. مبسوطة إني شوفتك أخيراً.

- وده بقى وائل. أهم واحد في البروجيكت ده.

- أهلاً.

مدت جميلة يدها إلى وائل, فوجدت شاب خجول مهذب ليس على قدر كافي من الوسامة ,وإن كان ذا جسم وعضلات مفتولة من الواضح أنه يذهب إلى الجيم.

- شكلك بتروح الجيم كثير.

علقت جميلة

- فعلاً.

أجاب بخجل

- طب ياريت تقنع عمرو يروح معاك. أحسن بيكسل معظم الوقت.

- إن شاء الله.

رد الشاب

- طب خلصتم ولا أنا معطلاكم؟

- بصراحة طبعاً معطلانا.

أجاب عمرو بمنتهي الصراحة

- لا والله مافيش أي عطلة.

حاولت ماريان برقة واضحه ألا تحرج جميلة.

- والله إنت باين عليك ذوق.

ضحكت جميلة بدون أى حرج

- عموماً قربنا نخلص خالص.

قال أحمد

- طيب. أنا حأسيبكم وأجهز العشاء مع ماما. علشان خاطركم والله بس.

وخرجت جميلة من الغرفه متوجهة إلى المطبخ لمساعدة والدتها ,في محاولة لتمضية الوقت حتى ينتهي الشباب من عملهم ,فهي تمنى نفسهم بتمضية أمسيهة لطيفة معهم ,بدلاً من مع كتبها.

- بصى بقى يا ماما. أنا هأرتب طبق الجبن وطبق الفاكهة. إنتي عارفه دي لعبتي.

- طيب يلا بس. انا هأعمل البيض والفول وإنتي رصي الطعميه في الطبق.

- بصي

- قالت جميلة بفخر

إيه رأيك في شكل الطبق.

- بصراحه إنتي دايماً تعرفي تخلي الشكل والديكور جميل.

وبدأت جميلة في ترتيب السفرة بإهتمام وفن واضحين ,فهي من أشد المهتمين بجمال الشكل, فهي مؤمنة إن جمال الشكل هو من أهم الأشياء.

- السفرة جاهزة

- أعلنت جميلة

- يلا قبل الأكل ما يبرد.

- واو

صاح أحمد بإعجاب واضح

- إيه الفن ده كله؟

- تعبناكم!.

قالت ماريان

- يا جماعة ده فول وطعمية.

قال عمرو.

- بصراحة كفاية منظر السفرة, يفتح النفس.

- وبعدين مالهم الفول والطعمية.

جاملت ماريان بنفس الرقة.

- إتفضلوا يا أولاد يلا.

دعتهم سها

- إنتم أكيد جعانين.

وبدأ الجميع في الأكل, وبدأت جميلة بتمرس واضح تدعوهم إلى الأكل ,وتحاول التأكد من أنهم يتذوقون كل شيء, ولاحظت بإستغراب أن وائل منزوي في خجل ,ولا تمتد يده إلى الطعام ,إلا نادراً.

- إيه يإبني

- - وجهت كلامها إليه

- - هو إنت مش جعان.

- لأ ,جعان.

رد الشاب

- يبقى الأكل مش عاجبك.

- بشويش عليه يا جميلة

قاطعها عمرو

- أنا هاعزم عليه.

- حلو قوي الأومليت ده.

جاملت ماريان

- والله إنتي اللي حلوة.

ضحك عمرو

وهكذا بدأ الجميع في المزاح ,وفي تناول الطعام، ثم الفاكهة ,حتى مر الوقت ,وامتلأت البطون ,وقل الكلام وجلس الجميع حول المائدة , وهم يشعرون بثقل الأكل.

- متهيألى لازم ننزل بقى .

- قالت ماريان

- الوقت أتأخر.

- لا ابداً.

نفي عمرو

- لأ, بجد. أنا كمان أتأخرت.

- ماتخافيش. أنا هأوصلك.

عرض وائل عليها بأدبه الواضح.

- طب يلا بينا.

وتبادل الجميع التحية والسلام, وشكروا عمرو ووالدته وجميلة على تعبهم, وتمنوا أن يكلل مجهودهم في العمل بالنجاح, وقام عمرو بتوصيلهم حتى الباب ,ثم رجع ليساعد والدته وأخته في ترتيب المنزل.

- شكراً يا ماما. تعبتك.

- العفو يا حبيبي.
- وأنا إيه يعني. مافيش شكراً.
- ياستي شكراً انا آسف.
- على فكرة ماريان دي بنت لطيفة. لو كانت مسلمة كان لازم تتزوجها.
- والله ماعنديش مانع.
- بس وائل ده غريب.
- ليه.

سألتها والدتها.

- مش عارفة, على طول ساكت.
- هو فعلا هاديء

وضح عمرو

- بس دماغه فظيعة. بصراحة من غيره كان لا يمكن نعمل البروجيكت.
- ماشي ياعم. ما إنت أصلك غاوي شغل. ربنا وعدني بأخ وصاحبة غاويين تعب.
- طيب سبنالك إنتي الراحة.
- ياريت والله. عموماً تصبحوا على خير علشان أنا بصراحة تعبت النهارده.
- وانتي من أهله.

ردت سها

- أنا كمان هأنام ,تصبحوا على خير.

وفي اليوم التالي, اضطرت جميلة إلى مواجهة واقع الإمتحانات ,وبدأت الانخراط في معسكر الإستذكار تحت ضغط من أمها ,وصديقتها ,وامتحاناتها.

وبدأت الإمتحانات ,وإشتد الضغط ,وزادت المذاكرة, وبدأت جميلة تفقد بهجتها المعتادة , وإهتمامها بنفسها وبمظهرها.

- بجد زهقت.

أعلنت لصديقاتها بعد إنتهاء ثاني إمتحان.

- معلش.

ضحكت فريدة

- إنتي على طول زهقانة.

- لأ يا سلمى أنا بجد مش قادرة.

- ولا يهمك. بأقولك إيه. هانت. فاضل عشر أيام بس.

- يا سلام. كأنهم يومين.

- بأقولكم إيه ياجماعة

تمتمت فريدة

- أنا بجد عايزة أروح أنام. يلا السواق وصل. يلا بينا.

وتوجهت الثلاث بنات إلى السيارة في تعب, وفي الطريق سيطر النعاس على فريدة, وأطرقت سلمى تفكر في المادة القادمة بينما راحت جميلة تحلم بآخر يوم إمتحانات.

واخيراً ,جاء هذا اليوم ,وانتهت الإمتحانات.,وخرج الجميع يشعرون بسعادة غامرة., وكان معظم الطلاب قد قرروا تناول الغذاء معاً في إحدى المطاعم الشهيره. وتوجهوا جميعاً للاحتفال ببدأ الاجازة. وبعد الغذاء قرروا الذهاب إلى السينما لمشاهدة فيلم

كوميدي. وبدأ البعض في الإعتذار لشعورهم بالتعب وبعد السينما بدأوا التجول في كارفور لتمضيه الوقت. وأخذ عددهم يقل حتى لم يتبقى سوى جميلة وسلمى وفريدة.

- أنا شايفة إننا نروح.

- وأنا كمان بصراحة تعبت.

- ماشي

وافقت جميلة

- كله تعبان ولو أن أنا كان ممكن آكل آيس كريم.

- بأقولك إيه!!

قالت سلمى

- أنا مش قادرة. يلا بينا والنبي.

- اوكي .

وفي المنزل وجدت جميلة أخوها عمرو ووالدتها في إنتظارها.

- أتأخرتِ.

قالت الأم.

- كنا في كارفور.

- هو إنتي مابتتعبيش غير من المذاكرة.

تساءل عمرو.

- بصراحة آه.

- طيب أنا عايزك في حاجة مهمة.

- فيه إيه

سألت

- أوعى تكون جايب لي عريس إنت كمان.

- طب ما إنتي فاهمه اهه.

- بجد!!

إبتسمت في سعادة

- وائل صاحبه لما شافك يوم العشاء والبروجيكت طبعاً عجبتيه والولد محترم فكلم أخوكي على طول.

- بتتكلموا جد.

قالت بإستهزاء واضح.

- أيوه

ردت الأم

- وعلشان هو ولد كويس فعلاً طلب من عمرو يكلمك بعد انتهاء الإمتحانات.

- لا والله. وليه بقى محاولش يتكلم معايا.

- هو direct وقرر يكلم أخوكي على طول.

- ده قديم أوي.

- بأقولك إيه يا جميلة

صاح عمرو

- ده ولد محترم ومهذب وولد كويس جداً وعائلته كويسه ومستقبله كويس.

- آه بس مش بيتكلم كلمتين على بعض وعامل زي البنات.

- هو ده رأيك؟

سأل.

- آه. بص الفرق بينه وبين أحمد مثلاً.

- بأقولك ايه. أحمد خاطب ومالناش دعوة بيه. خليكي في العريس اللي جاي لك.

- فعلاً يا جميلة.

- لأ طبعاً ده ماينفعش معايا خالص.

- أنا كنت عارفة إنك هتقولي كده.

- يعني ده آخر كلام عندك؟

- أنا رأيى أنك لازم تفكري تاني؟

- بأقولك إيه يا ماما أنا مش ناقصني عرسان.

- ماشي يا جميلة. أنا هأقوله إنك مش بتفكري في الجواز قبل ماتخلصي الكلية. وهو هيفهم.

- قوله اللي إنت عايزو. هو أنا مش كل واحد يعجب بيه يبقى لازم أتجوزه.

- ماشي يا برينسيس -إبتسم اخوها- إنتي حرة.

- ربنا يرزقك بإبن الحلال

دعت لها أمها

- واحد زي عمر اللي قابلتيه في الفرح.

- ما هو معجب بيا فعلاً. بس أنا بصراحة ما اعرفوش كويس. ويعني ما قدرش يشد إنتباهي.

- يعني ما أتصلش بيك خالص؟

- لا يا ماما. هي مرة واحدة ,وردت عليه نرمين.

- طيب ابقي إتكلمي أسالي على باباه.

- إن شاء الله.

- بأقولكم إيه أنا ماليش في كلام الستات ده. أنا عايز أتفرج على التلفزيون أحسن.

- معاك حق.

أيدته جميلة ,ومدت يدها إلى الريموت كنترول, وفتحت التلفزيون.

- هأغير هدومي وآجي أقعد معاكم.

وهكذا قررت جميلة عدم صلاحية العريس لها. فهي وإن كانت لا تنكر شعورها بالسعادة عندما يتقدم لها عريس ,إلا إنها تشعر أن وائل هذا غير مناسب ,فهو مؤدب وهادئ زيادة عن اللزوم ,وهي لا يعجبها ذلك. إنها تبحث عن زوج شديد الرجولة ,بل وقد يكون عنيفاً أو فظاً. وهي تعلم إنها ستجد غايتها ,فجمالها وجاذبيتها يساعدان على ذلك. ولذا يجب ألا تتسرع ,فهي ليست مثل كل البنات ,ويعرض عليها بدل العريس الواحد مائة عريس. ثم إنها ليست على إستعداد للتعب والمعاناة والشغل ,ويجب أن يوفر لها عريس المستقبل كل ما تحتاجه وما تستحقه فعلاً.

ألقت على نفسها نظرة أخرى في المرآه, وكالعادة شعرت بالرضا والإرتياح, فإن ما تراه يؤكد إنها على حق. إن جمالها لا يمكن الإختلاف عليه.

وفي صباح اليوم التالي, كانت تشعر بنفس الرضا والسعادة ,خاصة وإنه ليس هناك ما يشغلها عن نفسها, فلا مذاكرة ولا كتب ولا دروس.

صبحت على والدتها ,وأعدت لنفسها النسكافيه لتتناوله مع الإفطار الذي أعدته لها. وتجنبت أمها التحدث معها حتى تنتهي من شرب النسكافيه. وبعد أن انتهت من إفطارها ,رجعت إلى حجرتها وقامت بترتيب كتبها حتى تغير جو المذاكرة الذي اعتادته في الأسابيع الماضية. وما أن انتهت حتى بدأت في البحث عن موبايلها.

- يا ماما.

- أنا مش لاقيه الموبايل. شوفتيه.

- لأ.

- مش عارفه حطيته فين.

- شوفي مكان ما كنتِ بتفطري. بس تعالي ,عايزة أقولك حاجة.

- طب رنيلي علشان عايزة أتكلم.

- مستعجلة على إيه, هتكلمي مين على الصبح؟

- عايزه أكلم عمر علشان أسأل على باباه زي ما إنتي عايزه.

- مافيش داعي.

قالت الأم بإحباط.

- غريبة!!

- ولا غريبة ولا حاجة.وما هو ده اللي كنت عايزه أقولك عليه.

- إيه غيرتي رأيك فيه ولا إيه؟

قالت بسخرية.

- لا هو اللي غير رأيه.

ردت بإستهزاء

- مش فاهمة!!

- أصله هيخطب نرمين.

- نرمين مين؟

سألت بإستغراب حقيقي

- نرمين بنت خالك, اللي ردت على تليفونك يا فالحة.

- بنت خالي!!

لم تستطع أن تخفي دهشتها أو صدمتها.

- أيوه بنت خالك. ما هو إنت أدتيها الفرصه وهي سوسة زي أمها.

- بس هي ما قالتليش حاجه خالص.

- وتقولك ليه؟ هي هبلة زيك؟

- بنت الإيه....

- هيقروا الفاتحة الأسبوع الجاي ,كانوا بيتأكدوا إن باباك كمان هيكون رجع من السفر.

- قال يعني يهمهم قوي, عموماً ربنا يهني سعيد بسعيدة, هو مش من حلاوته قوي.

شعرت جميلة بإحساس غريب ,لا تستطيع فهمه أو وصفه .لأول مره تشعر أن احداً أخذ منها شيء هو في الأصل حقها. كيف تجرؤ نرمين على فعل ذلك؟ ثم من هي نرمين في الأصل؟ أليست هي بنت خالها التي تصغرها بعامين ,والتي لا تتميز بأي جمال غير عادي؟ إنها لم تكن تلفت انتباه أي شخص. فلم يكن لها معجبين على الاطلاق, كيف تمكنت من ذلك؟. كيف لفتت إنتباه هذا الشاب الذي كان واضحاً في إعجابه بجميلة نفسها؟. كيف حدث ذلك؟ وما معناه؟ هل تستطيع مثل هذه الفتاة أن تنافسها حقاً؟ إن جميلة لم تكن معجبة بهذا الشاب ولكنها كانت واثقة من إعجابه بها. وهي فعلاً لا

تستطيع تقبل أن يتخلى عن إعجابه بها من أجل فتاة أخرى. لابد أن هناك سبب. لابد من ذلك.

وبعد تفكير عميق ,ومحاولة لتقبل الواقع، إهتدت جميلة أن هذا الشاب لابد وأن يكون قد أدرك إنه لا يعجبها ولذا تمكنت نرمين من رمي شباكها حوله. وهو مازال بالتأكيد معجب بها ,ولكنه يريد الزواج ,وأرتاحت إلى هذا التفسير الذي لا يقلل من قدرها ولا من ثقتها بنفسها. وعلى كل حال فهي لن تضيع من وقتها أكثر من ذلك. وستركز على نفسها وعلى حياتها المعتادة ,كما إنها يجب أن تستعد لقراءة الفاتحة وللخطوبة حتى تكون متألقة كعادتها.

- ماما.

- نعم.

- أنا عايزه أشتري بلوزة جديدة لقراءة الفاتحة وفستان حلو للخطوبة.

- إيه رأيك تقولى لبابا يشتري لك حاجة وهو جاى من دبي.

- آه والله فكره هأكلمه حالاً

وقد كان ,وفي اليوم الخطوبة ,إرتدت الفستان الدانتيل الموف الذي إشتراه والدها بعد مباحثات، وتألقت تألقاً شديداً ,زاد منه شعورها الداخلي بأنها يجب أن تكون في أروع وأجمل حالاتها.

وفي الحفل نفسه ,كانت جميلة تستمتع بكل لحظة مع صديقاتها وأصدقاءها في محاولة لتجاهل الشعور بالحنق الذي مازالت تشعر به. فهي لا تريد أن تعترف به. وفي وسط كل ذلك كانت ترقص وتتمايل مع الجميع على أنغام الأغاني الراقصة. وبينما هي كذلك ,إذا بها تشعر بانجذاب شديد نحو سيف, الشاب الوحيد الذي لم يعرها أو يعر أي فتاه إهتمام خاص ,ربما زاد إنجاذبها له هذه المرة لأنها تريد أن تتغلب على شعورها بالهزيمة.

- بأقولك إيه يا سلمى.

همست جميلة

- الواد سيف النهاردة موز قوي.

- معاكِ حق.

- بصراحة عاجبني.

- غريبة!!

- هي إيه اللي غريبة.

- أول مره يعني تعترفي بحاجه كده.

- بتقولوا إيه.

قاطعتهم فريدة

- بنقول إن عمر ده كان معجب بيه من يوم فرح ملك. بس أنا طنشته.

نظرت إليها البنتان في إستياء واضح, جعلها تشعر بالخجل من نفسها. ما الذي جعلها تتفوه بمثل هذه الكلمات. وكانها لم تتمالك نفسها, فأفصحت عما يدور بداخلها.

- إيه خلاص ما تزعلوش كده.

قالت في محاولة لإخفاء شعورها بالحرج.

- يعني. هو الكلام ده مالوش داعي.

أكدت فريدة.

- طيب. طيب. خلاص.

- طب إيه رأيكم نركز علشان خلاص هيقطعوا التورته ويفتحوا البوفيه.

حاولت سلمى تغيير الموضوع ,وبعد العشاء جلس الجميع حول منضدة ,في إنتظار إعاده ظهور العروسة والعريس.

- عقبالك يا سيف.

بدأت جميلة

- عقبالك إنتي الأول.

- إن شاء الله ,بأقولك إيه ,أنا عندي موضوع كده عايزه أخذ رأيك فيه.

- إيه هو؟

تساءل

- لأ مش دلوقتي. أنا هأكلمك في التليفون.

- ماشي.

- الدي جي بدأ ثاني.

صاحت فريدة

- طب يلا بينا.

دعتهم سلمى.

وتوجه الجميع إلى البيست ,ولكن جميلة شعرت أن هناك ما ينقصها ,ولما نظرت للوراء وجدت سيف وقد جلس وحده حول المنضدة ,وبدأ في إشعال سيجارة, ترددت قليلاً ,ثم إستدارت وتوجهت إليه.

- قاعد لوحدك ليه؟

- ابداً ,قلت أدخن سيجاره بعد الأكل.

- أنا كمان بصراحه تعبت. هأقعد ارتاح شويه.

- آه ,اتفضلي.

جلست جميلة بجانبه, ولم تدر لأول مرة ماذا تقول, أما هو فإستمر يتابع ما يجري على البيست في صمت وهو يدخن سيجارته.

- حلوة الغنوة دي!

- آه طبعاً. قومي لو عايزه.

- لأ خالص, هو إنت مش بتحب الأغاني؟

- بأحبها طبعاً. بس مش باحب الرقص.

- ولا أنا

قالت بعفوية

- إنتي!!

نظر إليها بإستغراب حقيقي

- إزاي يعني؟

- آه ,بجد.

ردت بارتباك, فهي تعشق الرقص ,والكل يعلم ذلك.

- كنت فاكر العكس.

- لأ هو أنا بس بأفرح لاصحابي وباحب أجاملهم مش أكثر.

- والله برافو عليكِ.

- طب إيه الأغاني اللي بتحبها؟

- بصراحة ,مادام مصرة تعرفي. أنا باحب أم كلثوم وعبد الحليم.

- طب وعمرو دياب؟- سألت بسذاجة واضحة.

- عمرو دياب

ردد بنوع من السخرية

- هو إنتي حتقارنيه بأم كلثوم.

- لأ طبعاً. بس يعني بأشوف إذا كنت بتحب القديم بس ولا إيه.

- يعني, ده حاجة وده حاجة.

يبدو أن الموضوع لن يكون سهلاً. ولكنها قررت أن تقتحم المعركة ,وهي تعلم إنها ستنتصر. ثم أن صعوبة الموضوع تجذبها إليه أكثر ,فهي تحب هذا النوع القوي الواثق من نفسه. والأدهى إنها لم تعتاد ذلك العناد واللامبالاة من أحد. لكنها واثقة من نفسها ومن إنها ستحقق غايتها.

وبعد انتهائه من سيجارته ,دعاها سيف إلى مشاركة الجميع. فقاما وتوجها إلى البيست, ولم تستطيع جميلة أن تنكر شعورها بالإستمتاع بقوه شخصية سيف ,وبعدم انسياقه وراءها أو محاولته لإرضاءها, مثلما يفعل الكثيرين. بل إنها وجدت نفسه هي التي تلازمه ,وتحاول إستمالته إليها.

- هأكلمك بكره.

أخبرته في آخر الحفل ,وهي لا تعلم أصلاً ما الموضوع الذي سوف تكلمه فيه.

وفي اليوم التالي, بدلاً من أن تكلم سيف ,كلمت سلمى وحكت لها عن كل شئ.

- مش عارفة أقوله إيه.

- بصراحة ولا أنا.

- ما هو لازم نفكر في حاجة. شكلي هيبقى وحش وأنا كنت باكلمه بثقة.

- بصي. جت لي فكرة.

- إيه؟

سألت بفضول شديد.

- ممكن تقوليلو يساعدك في research الكمبيوتر. إنتي عارفه أنه عبقري كمبيوتر وبعدين بيعمل ماجستير فهيكون مهتم به. ولو أنه أصلاً أسنان.

- طيب ماشي. هأطلبه دلوقتي.

وفعلاً طلبت جميلة سيف, وسألته إن كان يمكنه مساعدتها في البحث المطلوب ,حيث إنها لا تستطيع القيام به بدون مساعدة. وكما هو متوقع ,وجدت منه الإهتمام المطلوب ,واتفق على أول لقاء لهما في النادي.

وإستعدت جميلة للقاء بكل جوارحها وأسلحتها ,من جمال ,ورشاقة ,وأناقة. وفي النادي ,وحول الترابيزة وجدت نفسها تنجذب إليه أكثر وأكثر وهو يشرح لها المطلوب وكيفية عمله وتنفيذه. وفي آخر الجلسة, سألته:

- طيب، ممكن تشوفه لما أخلصه.

- آه طبعاً

- طيب ،أنا هأبدأ النهارده بالليل وإذا وقفت في حاجه هأكلمك.

- أوكي بس انا مش هأسهر قوي علشان عندي شغل مهم بكرة. عموماً لو كنت هأنام هأقفل الموبايل.

ما هذا البرود؟ تساءلت جميلة ,وقد أحبطها رده, لكنها معجبة ببروده.

- طيب بص ابقى كلمني قبل ما تنام لو سمحت.

- أوكي - رد باقتضاب

- يلا بينا.

كلمت سلمى فور أن وصلت بيتها

- بارد ... بارد... بارد... .

كان تعليقها

- ما إنتي عارفة من الأول.

- بصراحة أنا مش واخده على كده. بس والله لا أوريه.

- أوكي , إبتدي بقى علشان تلاقي حاجة تقوليها له. وأنا كمان عايزة أبدأ في الشغل بتاعي.

- خليك إنت في المذاكرة. يلا تصبحى على خير.

وبدأت جميلة فعلاً في البحث ,ولأول مره تجد نفسها مهتمة بما تعمله. يبدو أن سيف له تأثير خاص عليها. وبعد قليل, مدت يدها إلى الموبايل ,ثم ترددت وتركته, لن تكلمه حتى يكلمها هو. هذا هو الأسلوب المناسب. ومر الوقت بطيئاً ,ولم يرن الموبايل, فبدأت تتوتر. هي لم تعتاد ذلك ,وعندما وصلت الساعه 12 قررت أن تحاول الاتصال به, وجاءها الرد المحبط.

- الرقم الذي تحاول الاتصال به قد يكون مغلقاً.

- اف ... اف

صاحت بغضب

- بجد بارد وقليل الذوق. طظ فيه.

لكن أول ما فعلته في صباح اليوم التالي كان الاتصال به.

- صباح الخير ,إزيك.

- صباح النور.

- يعني ما كلمتنيش إمبارح.

- أنا آسف ,معاك حق. أصلي تعبان مش عارف ليه ورحت في النوم.

- إنت في الشغل؟

- آه.

- طب هأكلمك لما تخلص. بتخلص أمتى؟

- الساعة 4.

- أوكي باي باي.

- باي باي.

وفي تمام الرابعة والنصف امتدت يدها إلى الموبايل.

- هاي.

- أهلاً.

جاءها صوته المتعب

- أخبارك إيه؟

- الحمد الله, بس يظهر إن أنا فعلاً تعبان.

- سلامتك, وصلت البيت.

- باركن العربية.

- طيب خلاص, ابقى كلمني لما ترتاح عايزة أسألك على شوية حاجات.

- حاضر.

وبدأت جميلة في التوتر ,وبدأ قلقها يزيد ,فسيف لا يتصل, وهي لن تسمح له بأكثر من ذلك. كلمت سلمى مرة أخرى

- بصراحة بدأت أزهق.

- طب كلميه.

- مش هأكلمه تاني.

- طب وبعدين.

- بصي يا سلمى عندي فكرة. كلميه إنتي علشان نعرف عيان بجد ولا لأ.

- وأنا اقوله إيه ده.

- أى حاجة. اسأليه على أى حاجة في الكمبيوتر. قولى له إنى سألتك علشان محرجة اكلمه.

- أوكي

- طب يلا أنا مستنيه.

ومرت الدقائق كأنها ساعات ثقيلة. ورن الموبايل.

- عيان. عيان جداً بجد.

جاءها الرد.

- طب خلاص ،إقفلي.

انتظرت قليلاً ثم طلبت سيف.

- سلامتك. مالك؟

- مش عارف. يظهر إني سخن. كنت حاسس من إمبارح.

- معلش. سلامتك.

- طيب كنتي عايزه تسألي على إيه.

فاجئها السؤال, فقد نسيت الموضوع أصلاً.

- مش مهم. بكره أسألك.

- لأ بجد.

- يا سيدي ولا يهمك. المهم إنت تأخذ الدوا وتبقى كويس.

- المشكلة إن ماما مسافرة ولازم آخذه الساعه 5 الصبح. عموماً هأضبط الموبايل.

- ولا يهمك أنا هأصحيك.

- مافيش داعي. أنا متشكر بجد.

- هأكلمك. يالا باي باي.

وفي تمام الخامسة رن الموبايل ,وقامت جميلة من النوم متثاقلة, ودعكت عينيها ,وفتحتها بصعوبة, ومدت يدها إلى الموبايل بتضرر.

- شغلانة إيه دي بقى.

همست لنفسها.

- آلو.

جاءها صوته.

- آلو, صحيت.

- آه, متشكر جداً. أنا كده قلقتك.

- ولا يهمك يلا خد الدوا علشان تنام تاني.

وسمعت صوت علبة الدواء ,وإستخراجه للقرص منها, ثم صوت المياة وهو يشربها.

- تمام؟؟

سألته.

- الحمد الله.

- تصبح على الخير. هأطمأن عليك الصبح.

أغلقت الموبايل ,ومعه عينيها, ولم تستيقظ إلا على صوت أمها تحاول أن تذكرها بميعاد كليتها.

وفي السيارة طلبت سيف. مرة أخرى.

- صباح الخير.

- صباح النور

رد بإمتنان

– أنا بصراحة مش عارف أشكرك إزاي.

- ولا يهمك

شعرت إنها نجحت أخيراً على الأقل في التأثير عليه.

- طبعاً مش هتروح الشغل.

- الشغل مش مهم النهاردة. بس المشكله إني كان لازم أعدي على الكليه علشان فيه بحث لازم أسلمه.

- طب وبعدين.

- مش عارف. هأحاول أنزل.

- لأ لأ. أوعى. بص أنا هأعدي عليك آخذه وأوصله للكلية.

- إزاي. طب وكليتك.

- المحاضرة اتلغت

كذبت بسرعة شديدة فهي فرصة نادرة.

- بس إنت معلش حط الورق في الأسانسير. يالا باي.

أغلقت الخط بسرعة قبل أن يناقشها ,وغيرت خط سيرها, وذهبت في إتجاه منزل سيف. وهكذا مرت الأيام وتوطدت علاقتها بسيف ,وكثر تحدثهم في الموبايل. وبدأت جميلة تحاول إثبات أهميتها في حياته ,وزادت ثقتها بنفسها ,لأنه بدأ أخيراً يتصل بها من تلقاء نفسه, وازداد ارتباطها. ولكن ما يحيرها هو عدم إفصاحه عن شئ صراحةً, فهو متحفظ بطبعه ولا يتكلم كثيراً.

- وبعدين

سألت صديقتها بحيرة

- إيه آخرتها؟

- قلقانة من إيه؟

- حنفضل كده في اللا لا. هو يعني مستني لما أنا اللي اقوله.

- واحدة. واحدة

ردت سلمى

- بطلي تسرع. إديله فرصة.

- أكثر من كده!!

- هو فيه بصراحة تطور كان المفروض إن أنا ما قولوش لك.

- إيه؟

سألت بفضول.

- هو سيف اتصل بيه.

- بك إنتي؟

- ما تزعليش كده. هو عايز يرتب لك Surprise Party علشان عيد ميلادك.

- بجد

ردت بفرحة.

- أيوه. بقى لنا أسبوعين بنرتب لعيد ميلاد سيادتك.

- والله.

إبتسمت بسعادة واضحة.

- بصراحة ,هو مهتم جداً ,ورتب حاجة حلوه يوم الخميس اللي جاي. وكلنا هنكون موجودين أنا وفريدة وأشرف ونرمين والباقي كلهم ,حتى ملك وجوزها.

- أوكي

- بس أوعي حد يحس إنك عارفة.

- ماتخافيش.

وفي جلستها المعتادة مع أمها, حكت لها جميلة كل شيء, وقررت أن تشتري جميلة ملابس جديدة للمناسبة، خاصةً إن سيف كان قد أخبرها أن هناك مفاجاءة سوف يخبرها بها يوم الخميس.

- يبقى أكيد هيقولك بمناسبة عيد ميلادك.

- تفتكري.

- مش هو اللي قالك.

- أنا عارفة. ما هو طول الوقت يكلمني عن أم كلثوم وعن الماجستير لما أنا بصراحه اتلخبطت.

- وأنت إن شاء الله بتقولي له إيه.

- إني طبعاً باحب أم كلثوم وإن الماجستير بتاعه أهم حاجه في الدنيا.

- يلا يا نصابه.

ضحكت أمها.

- طب أعمل إيه؟

- وسلمى بقى هي اللي بترتب عيد الميلاد.

- آه.

- والله أنا خايفة تطلع سوسه وتلطشه.

- لأ مش معقول يا ماما.

- كل شيء معقول.

أكدت الأم.

وفي يوم الخميس, كانت جميلة متألقه أكثر من أي مرة سابقة. وقد اشترت فستان أنيق ,حرصت على أن يبرز جمالها أكثر.

ولعبت دورها كما ينبغي ,وادعت إنها لا تعلم أي شيء عن الحفل الذي نظمه أصدقاءها. وفي الوقت المحدد قام اشرف صديقهم وبعد أن اختفى لثواني, ظهر وهو يحمل بنفسه تورتة عيد الميلاد ,وقامت فريدة بإشعال الشموع. وقدم سيف وسلمى الهديه المشتركة لجميلة. وأمضى الجميع وقت طيب, ثم قامت سلمى لتعلن

- يا جماعة سيف عنده خبر حلو.

ودق قلب جميلة إستعداداً, فمن الواضح إنه أتفق مع سلمى, وبدأت تفكر فيما يجب أن يكون عليه رد فعلها.

- خير.

ردد الجميع.

- يلا قول.

حثه أشرف.

- بصراحة. أنا ناقشت رساله الماجستير الأسبوع اللي فات وأخذت امتياز. وكنت عايز أعملها مفاجأه علشان كده قلت أعلنها يوم عيد ميلاد جميلة وكلنا موجودين.

وصفق الجميع وهللوا. وصفر أشرف تشجيعاً ,وبدأ الجميع في المباركة له, وتسمرت جميلة مكانها. هل هذه هي المفاجأه؟ هل انتهي الموضوع؟ بالطبع لا. فهو أكيد سيربط الماجستير بإعلانه ارتباطهما.

لكن شيئاً لم يحدث.

ربما أجلَّه حتى يكونا وحدهما.

ولكن الشك بدأ يساورها , وبدأت تتذكر تحذير أمها, هل تلعب سلمى دور لا تعلمه هي؟ هناك شيء غريب, فهي تقف إلى جانب سيف ,ثم إنها الوحيدة التي كانت تعلم بموضوع الماجستير. ما هذا؟ هل هذا يعقل؟ دارت الدنيا بجميلة ,ولم تشعر بما يحدث حولها ,حتى سمعت صوت أشرف يوقظها من هذا الكابوس الملئ بالهواجس.

- إيه مالك؟ مش هتباركي سيف.

- طبعاً, ألف مبروك.

- بصراحة

صاح سيف

- إنتي مش محتاجه تباركيلي. إنتي كنت أكثر واحدة شجعتيني كفاية يوم ماوصلتي البحث وأنا عيان.

- يعني إنت فاكر.

همست لنفسها.

وانتهت الليلة ,بإحباط غير عادي, وأمسكت جميلة دموعها طيلة الحفل حتى لا يلاحظ أحد. وعندما وصلت منزلها, بدأت دموعها الحبيسة تسيل ,حتى قبل أن تركب المصعد. ثم فاجأها رنين الموبايل, نظرت إليه بعصبية فوجدت إسم سيف يظهر.

- عايز إيه

صاحت بحنق

- والله ما أنا رده.

لكن يدها امتدت للموبايل, وردت عليه.

- آسف. بس عايز أقولك حاجة.

- إتفضل.

تمتمت بترقب.

- ممكن أقابلك بكرة. بصراحة عايز آخذ رأيك في موضوع مهم. هو يعني حاجه شخصية.

اخيراً. كادت الكلمة تفلت منها.

- أوكي طيب نتقابل في النادي على 6 بعد الشغل.

- أوكي باي باي.

وعندما دخلت المنزل, لم تتكلم مع أمها كعادتها ,إنما أخبرتها إنها متعبة وتشعر بصداع شديد.

- فيه حاجة؟

سألت الأم بقلق.

- لأ خالص. كل شيء تمام بس أنا بجد تعبانة.

وفي حجرتها ,أطلقت العنان لمشاعرها, وبدأت تفكر فيما حدث, كيف سمحت لنفسها أن تتعلق بسيف أو غيره؟ إنها جميلة, الفتاة التي يعجب بها الجميع, والتي طالما تمنى رضاها الكثيرون, واقسمت أن تنتقم منه بعد أن يعترف لها, غداً, كما هو متوقع. ولكن هل تريد أو تستطيع الانتقام منه فعلياً؟ إنها تشك في ذلك. ولكن يجب أن "تعلمه الأدب" كما تردد أمها دائماً.

وفي تمام السادسة مساءً ,في اليوم التالي, كانت تجلس في كافتيريا الجولف في النادي, في إنتظار هذا الشاب الذي تحول فجأه إلى فتى احلامها. وتابعته بعينيها بعد أن وصل ,ورأته وهو يتجه إليها ,ويسلم عليها ,ويجلس في الكرسي المقابل لها. ولم تفهم أى شيء من حديثه حتى بدأ يقول:

- عايز آخذ رأيك في موضوع شخصي.

- إتفضل.

قالت بإشتياق.

- بصراحة كده أنا معجب بواحدة وعايز أخطبها.

- فعلاً.

همست ,ولسان حالها يقول أخيراً.

- آه والله شفتي

- مين هي بقى؟

سألت برقة ,وصوت داخلي في نفسها يردد انطق بقى يا أخي.

- ما هي دي الفكرة.

- أيوه مين يعني؟

لم تستطع السيطرة على نفسها.

- بصراحة. هي واحده تعرفيها.

طب ما أنا عارفة. رد صوتها الداخلي.

- بجد. عموماً إنت أي واحده تتمناك.

قالت مشجعة

وفعلاً شجعته ,فجاءها الجواب

- هي واحدة صاحبتك.

وجاءها الرد الغير متوقع كالصاعقه.

- سلمى... سلمى... فعلاً ... يا نهار أسود ... يا بنت الإيه.

لم تجروء أن تسأله, فهي لا تريد أن تسمع الإجابة.

- مش هتسألي مين؟

- مين؟

خرجت الكلمة بصعوبة.

- فريدة.

لم تتحمل جميلة الصاعقة الثانية, فصاحت في إستغراب

- مين؟

- فريدة.

- فريدة مين.

- فريدة صاحبتك.

- يانهار أسود.

- أسود ليه؟

سأل باندهاش

- أصل ... أصلي افتكرتك ... يعني مش سلمى.

قالت بإرتباك واضح, في محاولة لإخفاء حقيقة شعورها.

- سلمى. إيشمعنى سلمى؟

- مش عارفة.

هربت منها الكلمات ,إحتبس صوتها, وسكتت.

- سلمى!! سلمى, أشرف معجب بها, وإن شاء الله هيخطبها قريب.

- طب وأنا!!

أفلتت منها الكلمات.

- إنتي!!

حاول ان يفهم قصدها

- آه ... آه طبعاً ما هي سلمى أكيد هتقولك. أنا كنت فاكرك عارفه. أنا آسف والله.

- مافيش داعي للأسف

وحمدت الله أنه لم يفهم قصدها

- طب وأنت عايز مني إيه بالظبط.

- ياريت تقولي لفريدة بصراحة حاولت أفهمها لكن يظهر إنها مش مجمعة.

علشان فاكراك معجب بيا أنا. كانت تود لو يسمع ما يدور بداخلها. لكنها لا تستطيع الإفصاح عنه.

- عموماً لازم إنت اللي تقولها, هو ده الصح, عن إذنك بقى أحسن أنا عندي ميعاد.

وقامت كمن أصابتها صاعقة كهربائية, وسارت وحدها, لا تصدق ما حدث وما سمعته, فهو لا يمكن ,وغير معقول ,ولا يتقبله عقل, فهي جميلة، جميلة، جميلة بل هي جميلة الجميلات. فكيف يحدث ذلك. لابد أن هناك خطأ ما. أليست هي من غنت لها أمها كثيراً جميل جمال مالوش مثال...

قلبي القاسي

إسمها ياسمينا و هي فعلاً كالياسمينة حلوة ، رقيقة ، جذابة ، يكاد يفوح منها العطر كلما أقبلت. إذا رآها أحد شعر أنها في جمال ورقة الياسمين، و كأن رقتها تدعو من يراها لا لأن يقطفها بل لأن يحافظ عليها ويحميها و يرعاها كي لا تذبل، فهي في رقة و ضعف ، الورود تملأ المكان جمال و عطر و بهجة، ولكن شيئاً ما يدفعك إلى الخوف من فقدانها كما تخاف على الورود أن تذبل و تفقد عطرها في وقت قصير.

في الواقع فإن ياسمينا إمرأة في حوالي الثامنة و العشرين و لكن من يراها بل و من يتكلم معها يكاد يجزم أنها في العشرين لم تتخطاها ، رقة و وداعة و براءة الفتاة الصغيرة. هي فعلاً في لون الياسمين و شعرها الذهبي و عيناها الخضروتان يفكران من يراها بالياسمين النعسان على الأشجار الخضراء. ثم يأتي صوتها رقيقاً هامساً ليضفي على جمالها جمال و على رقتها رقة.

ياسمينا متزوجة منذ أكثر من خمس سنوات و لم يفقدها الزواج براءتها و وداعتها ، لم تشغلها المسئولية في الواقع هي لا تحمل مسئولية بمعنى الكلمة. إن زوجها يهيم بها و لا يسمح لأحد أو شئ أن يعكر صفوها أو يزعجها ،فهو يكبرها بحوالي عشر سنوات، مما يجعله كثيراً ما ينظر إليها كطفلة وديعة تستحق الرعاية و الحماية. هو دائما ما يحنو عليها و لا يحرمها من أي شئ. هي زوجته الثانية، تزوجها بعد أن طلق زوجته الأولى و أم إبنه الوحيد. و هما نقيضاتان تماماً. فقد كانت أم إبنه جميلة و لكنها ذات شخصية قوية بل و أحياناً متسلطة، مما جعل الحياة معها مستحيلة، و لذا فقد وقع في غرام ياسمينا ما أن رآها ، فهي كل ما حُرم منه و كل ما تمناه. هو يرعاها كالطفل، و يرويها بحنانه كما تروي الزهرة، و يحيطها بالإهتمام كالطائر الصغير. و كم كانت صدمته شديدة عندما مرضت يوماً. فعرضها على جميع الأطباء و لم يبخل عليها بأي شئ ممكن. و توصل الأطباء بعد التحاليل و الإشاعات إلى أن قلب ياسمينا يعاني ضعفاً في العضلة. صحيح أن الحالة ليست خطرة على الإطلاق لكنها تحتاج فقط إلى عدم بذل مجهود عنيف و إلى المتابعة كل فترة مع أخذ الدواء في ميعاده و لتستمر الحياة و ليس هناك خوف حقيقي.

لكن "محب" يخاف أن يفقد هذه الوردة الجميلة ، هذه الياسمينة الوديعة التي تعطر حياته. ولذا زاد من إهتمامه و حبه و حنانه.

ياسمينا تعيش في فيلا صغيرة وجميلة في التجمع الخامس، و لديها من الخدم و الطباخين و السائقين ما يغنيها عن أي شئ. و "محب" لا يسمح لأحد أن يُحملها أي أعباء، فهي بالنسبة له طائر رقيق هزيل يجب أن يرعاه و يحافظ عليه في قفصه الذهبي اللامع الواسع.

و اليوم هو عيد زواج ياسمينا و محب، و قد أراد محب أن يقيم حفلاً كبيراً في أحد الكافيهات الأنيقة، لكن ياسمينا أصرت أن يكون الحفل في منزلها، فهو جميل و أنيق ،ثم إنها تريد جواً حميماً لأنها تنوي أن تفاتحه في موضوع هام بالنسبه لها بعد الحفل، و ليس هناك أجمل من أجواء البيت. و قد كان لها ما أرادت كالمعتاد. فقد بدأ محب في التجهيز للحفل.

في الصباح إستيقظت ياسمينا كالمعتاد في العاشرة و نظرت إلى الفستان الجديد الأنيق المعلق على الشماعة خارج الدولاب. لقد إنتقته من وسط مجموعة كبيرة في إحدي أشهر المحلات. و كالمعتاد تأكدت من إنه يعجب محب . مدت يدها إلى الجرس ، و إستدعت الخادمة الأنيقة التي تقوم على شئونها الشخصية. طلبت إفطارها المعتاد، و قامت إلى الحمام لتغسل وجهها و تبدأ يومها. أسرعت الخادمة تفتح النافذة ليملأ الهواء الحجرة و معه رائحة الياسمين الذي يملأ الحديقة تحت النافذة تماماً. ثم أغلقتها و أسدلت الستائر قبل أن تعود ياسمينا، فهي لا تحب أن يملأ ضوء الشمس الشديد الحجرة الواسعة.

تناولت ياسمينا إفطارها و قررت أن تنزل بنفسها لتتابع ترتيبات الحفل لحين عودة محب من مكتبه. فقد كانت مصرة هذه المرة على أن تتحمل المسئولية و لو قليلاً ، أن تبذل مجهوداً واضحاً، و أن تستمتع بذلك. فهي لا تشعر أبداً بالمرض أو التعب، و تريد أن تتخطي ذلك. بل و تساعد محب الذي يعمل دائماً على إسعادها.

ما أن نزلت السلالم حتي تأكدت أنها لن تستطيع أن تدلو بدلوها في زينة المكان. كان محب قد كلف شركة متخصصة أرسلت مهندسة ديكور تقوم بتزيين المكان و تملأه بالورود و الياسمين و البالونات. و قد بدأت العمل بالفعل.

- صباح الخير.

بادرت ياسمينا.

- صباح الخير يا فندم.

ردت المهندسة.

- إن شاء الله كل شئ هيكون جاهز في خلال ساعتين.

-إن شاء الله.

- إيه رأي حضرتك؟

- كله تمام.

همست ياسمينا ،ثم توجهت إلى الحديقة لتباشر ترتيب المناضد فوجدت العمال قد رصوا المناضد و بدأوا في وضع المفارش و الزهور. و بدأت رائحة الياسمين تملأ أنفها. فقد حرص محب على أن يضع الياسمين الذي تحبه على كل المناضد.

بصراحة ، كل شئ على أتم وجه، محب أدار كل شئ على أحسن ما يكون كالمعتاد. و قد أخذ رأيها في كل شئ و حتي في قائمة الطعام. لكنه رتب و نظم و أعطي أوامره حتي لا يزعجها أي شئ. لذا وجدت إنه ليس لها دور، فقررت الرجوع إلى حجرتها لتغوص في الكتاب الذي تقرأه حتي يمر الوقت، و يجئ ميعاد مصفف الشعر الذي حرص محب أن يأتي إليها في المنزل ،حتي لا تضطر إلى الذهاب إليه.

و في حجرتها ، و في ضوء الأباجورة ، بدأت ياسمينا تقرأ قصة إحسان عبد القدوس "أنا حرة". إنها تعشق هذا الكاتب، و هي تقرأ الكتاب لثاني مرة.

و في المساء كانت ياسمينا في أتم إستعداد للحفل. وقد أرتدت فستان دانتيل أسود عليه شغل يدوي رقيق بحبات ماسية زاد تلألأها من إشراقة وجه ياسمينا. و أبرز الفستان المكسم جمال و رشاقة قوامها، و قد رفع المصفف شعرها في أناقة ليسمح لعقد الماس الذي يحيط برقبتها بأن يبرز رشاقة عنقها.

- إيه الجمال ده يا حبيبتي.

مش معقول قال محب بإعجاب صادق.

- بجد!!

- طبعا. أنا مش مصدق عيني. إنتي هتكوني عروسة الحفلة.

- ميرسي يا حبيبي.

- و الله هيحسدوك.

- المهم ما يحسدوناش إحنا الإثنين.

قالت ضاحكة.

و نجح محب في إخراج مشهد نزولهما إلى الحديقة في صورة درامية مبهرة. و أضيئت الأنوار و عزفت موسيقي الدي جي ، و أبهرت ياسمينا الجميع بجمالها الأخاذ و رقتها المتناهية.

و بدأ الحفل و الجميع يتسامرون و يضحكون في سعادة. و كل شئ يتم بمنتهي الدقة كما رسم محب. و ياسمينا تشعر بأنها كالملكة المتوجة. يجب أن تعترف أن زوجها دائماً ما يمنحها هذا الشعور.

و لمحت ياسمينا عمر إبن خالها ينظر إليها بأسي لا يستطيع إخفائه عنها. فهي تعلم إنه مازال يحبها و إنه لا يستطيع أن ينسي أنها فضلت محب عليه و تزوجته. توجهت ياسمينا إليه بإهتمام حقيقي.

- إزيك.

- أهلا. كل سنة و إنتي طيبة.

- و إنت طيب يا عمر.

همست برقة.

- بجد بحس بسعادة لما أشوفك. كنت خايفة إنك ماتجيش.

- و أنا أقدر.

ضحك بتحفظ.

- وصلتني دعوة محب.

- أنا مبسوطة إني شوفتك.

- و أنا كمان. إيه رأيك نرقص على الأغنية دي.

- طبعاً، طبعاً.

قالت ببساطه تلقائية.

و ذهبا سوياً إلى المكان المخصص للرقص. و بدأ يرقصا على انغام الأغنية القديمة You "Fill Up My Senses" .

و إستمتعت ياسمينا بالرقص مع إبن خالها و رفيق صباها. و بعد انتهاء الرقصة شغل الدي جي أغنية "Sway"

و بدأت ياسمينا تستعد لإستعادة روح و ذكريات الصبا و هي ترقص مع إبن خالها.

- حبيبتي.

قاطعمهما محب.

- ممكن دقيقة واحدة.

إلتفتت ياسمينا قبل أن تبدأ الرقصة.

- نعم يا حبيبي.

- معلش يا عمر هاخدها منك ،"عمتك" يا سيدي وصلت و عايزه تسلم عليها.

- أوكي

قال عمر متراجعا بإحترام.

- يعني لازم أسلم عليها دلوقتي.

تساءلت هامسة.

- لا يا حبيبتي.

صارحها.

- بس أنا شايف إن رقصه واحدة كفاية. لازم ترتاحي شوية.

- أنا مش تعبانة.

إعترضت برقة.

- معلش علشان خاطري يا ياسمينا كفاية دلوقتي. ارتاحي و بعدين كملي الدي جي موجود .

قال بحنيته المعهودة.

فلم تملك ياسمينا إلا أن توافق. و ذهبت لتسلم على عمتها و تجالسها قليلاً.

و بعد أن قطعا التورتة و صفق لهما الجميع افتتحا البوفية و بدأ الجميع في الإنشغال بالأطباق و الأصناف. و توجه محب إليها.

- ياسمينا حبيبتي. أنا طلبتلك تورتة النوتيللا اللي بتحبيها بس عشان خاطري خليها للصبح. بلاش بالليل علشان ثقيلة. أنا كمان مش هاكل منها.

- والله إنت بتبالغ.

ضحكت برفق.

- و الله أنا كويسة. و بعدين ممكن إنت تاكل اللي إنت عايزه. أنا مش طفلة و الله.

- أنا مقدرش إستمتع بحاجة من غيرك إنتي عارفة. عموماً يلا نشوف الضيوف أحسن شكلنا بايخ كده.

- حاضر.

اومأت ياسمينا.

و إنتهي الحفل بنجاح و شعرت ياسمينا بالإمتنان و السعادة. و قررت ألا تحدث زوجها فيما كانت تريده إلا في الصباح.

و في اليوم التالي جلسا معا على مائدة الإفطار التي أعدتها الخادمة. و بدأ محب في قراءة الجرائد كعادته كل يوم جمعة.

- فيه موضوع عايزة أكلمك فيه.

بادرت ياسمينا.

- خير يا حبيبتي.

سأل رافعاً رأسه عما يقرأ.

- بصراحه أنا إستشرت الدكتور ثاني و قال إني ممكن أبقى حامل و أولد عادي. من فضلك بطل خوف.

بدا الإنزعاج على وجهه.

- إحنا إتكلمنا في الموضوع ده قبل كده.

- أنا عارفة.

- أنا خايف عليكي.

- بس أنا عايزة أكون أم. ربنا يخليلك أحمد بس أنا كمان بجد مش قادرة أكثر من كده.

- يبقي نسافر بره و ناخذ رأي الدكاترة و تولدي كمان بره.

- إنت قلت لي كده قبل كده و كل مرة تأجل.

- خلاص. و الله أوعدك المرة دي بجد. بس أخلص الأشغال اللي ورايا الشهرين اللي جايين و أرتب للسفر.

- بجد يا محب.

- و الله يا حبيبتي.

- ربنا يخليك ليا.

همست برقة.

- أنا هاروح أصلي . تحبي تعملي إيه النهاردة.

- كان نفسي أكلم ماما و داليا و جوزها و نتغذي كلنا مع بعض.

- أوكي

رد بسرعة.

- بس من فضلك خليها على العشا. إحنا لازم نرتاح بعد حفلة إمبارح.

- حاضر. هكلمهم.

ردت صاغرة. فهي تعلم إنه لا جدال معه مادام قد قرر أن الراحه لازمة لها حتي و إن لم يقلها صراحة.

- إختاري المكان اللي إنتي عوزاه.

و حول مائدة العشاء تجمع الكل في أحد أرقي و أفخم المطاعم في فندق "الفور سيزونز". و لحسن الحظ حضرت أمها و أختها داليا و زوجها عاصم و أيضاً أخيها علي و إبن خالها عمر صديق علي الصدوق. و مر الوقت في سعادة و مرح و الجميع يتجاذبون أطراف الحديث. و يستمتعون بالأصناف الشهية على انغام الموسيقي الهادئة.

- بصراحة الأكل فعلاً حلو.

علقت داليا.

- و الصحبه أحلي.

رد عمر.

- كان نفسي فعلاً أتجمع معاكم في قاعدة كده.

- نورتنا و الله.

قال محب.

- و الله أنا باستمتع فعلاً معاكم.

قال عمر مجاملاً.

- بس بصراحة حفلة إمبارح كانت رائعة.

بادر علي.

- الحمد لله.

اومأت ياسمينا.

- الفضل كله لياسمينا. هي اللي رتبت كل حاجة و كانت منورة الحفلة.

إبتسم محب .

أطرقت ياسمينا في خجل و قد تقبلت المجاملة و محاولة نسب الفضل لها بروح جميلة.

- يا سلام يا ست ياسمينا.

ضحك علي.

- طب يا جماعة.

قاطعهم عمر بمرح و قد هب واقفاً.

- بس للأسف أنا مضطر أمشي علشان ألحق جزء من إجتماع الروتارى.

- ثاني.

قالت الأم.

- طبعا يا ماما.

رد علي.

- و الله يا جماعة. هو فعلاً شئ لطيف و أنا مستمتع به. علاقات و صداقات و حفلات و عمل تطوعي مفيد. مش عارف من غيره كنت هعمل إيه بعد الشغل.

- اه و الله.

أطرقت ياسمينا.

- ده أنا بأزهق خالص خصوصاً و أنا مش باشتغل.

- خلاص تعالي معانا. إدخلي النادي بتاعي أو أي نادي تاني. حتقضي وقت ممتع و تعملي حاجة مفيدة في نفس الوقت.

- بجد.

صاحت بعفوية.

- طبعا. يالا هرتب علشان تحضري إجتماع الإسبوع القادم. هتلاقي زميلات كانوا معاكي في المدرسة.

- على طول كده.

تساءل محب.

- حلاوتها في حموتها.

قال علي.

و في البيت فتح محب الموضوع بحرص.

- إنتي فعلاً ناوية تروحي الروتاري.

- نفسي.

قالت بإستعطاف.

- و إنتي هتقدري على كده.

- من فضلك. سيبني أجرب مارتحتش مش هكمل.

- أنا و الله علشانك.

- هجرب بس.

ألحت هي.

- اوكي. بس واحدة واحدة.

- اتفقنا.

صاحت بفرحة و أمطرته بالقبلات.

ضحك محب سعيداً لسعادتها و ناما في رضا و سعادة تامة.

****

و في سعادة جهزت ياسمينا للإجتماع الأول و ذهبت تحضره و هي متفائلة. و قد قررت أن يكون الإجتماع بداية جديدة لحياة إجتماعية طالما هفت نفسها إليها.

و لسعادتها وجدت هناك إثنين من زميلات الدراسة. "ميريت" زميلتها في الفصل. و هي حالياً مهندسة ديكور ناجحة و لم تتزوج بعد. و نرفين و هي مطلقة ثرية من زملاء المدرسة أيضاً، و إن كانت تكبرها بعامين. و تعرفت ياسمينا على باقي المجموعة نساء و رجال. فمنهم المتزوج و منهم المطلق و منهم الأعزب مثل عمر. اما السيدات فان معظمهن غيرمتزوجات فيما عدا ثلاثة فقط.

ولاحظت ياسمينا أن هناك جو من المرح و المزاح يسري بين أعضاء هذا النادي، بالطبع لم تلاحظ ما قد تموج به الأجواء من خلافات أو مشاحنات يخفيها هذا الجو الحميم. على أي حال فانها شعرت بالإرتياح و السعادة. و لأول مره منذ زمن تشعر أنها نشيطة و مقبلة على الحياة. إن أكثرما لاحظته و أسعدها هو جو الحرية الذي يتمتع به الجميع. فهناك اقتراحات للخروج و التنزه و أخري للحفلات و ثالثة للرحلات. و لا يبدو على أحد أي شعور بالقلق أو بالتقيد حتي أن ياسمينا حسدتهم على هذا الإنطلاق الذي تفتقده كثيراً.

و وجدت ياسمينا دنيا أخري ، لا تعرف عنها شئ، دنيا مليئة بالحركة و النشاط و البهجة و العلاقات، دنيا جديدة عليها. أقل ما يقال أنها ملأت أيامها بالأنشطة و الحيوية. شعرت أنها يمكن تكون مثل أي فتاة في سنها، كثيرة الحركة و الكلام. و لم تبال ياسمينا بأي مشاكل أو خلافات اوعلاقات يشوبها الشد و الجذب. إن أجمل شئ بالنسبة لها هو أنها بدأت تحقق ذاتها، فقد اشتركت في تنظيم احدي المشروعات الخيرية، و هي قافلة طبية كبيرة مقرر أن تجوب قري و مدن الصعيد الشديدة الفقر. و إنخرطت ياسمينا فيه و ساعدها على ذلك إنشغال زوجها الشديد بمشاريع جديدة بدأها.

و قبل ميعاد القافلة بإسبوع واحد بدأت فعلاً تشعر بالتعب. لكنه تعب لذيذ جعلها تشعر بقيمتها و بأن لها دور فعال و هام، فبدونها ستضطرب كثير من الأمور، و رجعت ياسمينا متأخرة إلى منزلها ،و هي معتمدة أن محب مشغول عنها.

- إتأخرتي كده ليه؟

سأل محب.

- تليفونك خارج الخدمة.

- فصل. أنا آسفه. أصل أنا من الصبح شغالة.

- واضح عليك الإجهاد.

عاتبها بلين.

- يعني.

- هو أنا علشان إنشغلت عنك إسبوعين تهملي في صحتك كده.

- مافيش إهمال و لاحاجة. أنا كويسة.

- و الله أنا خايف عليكي بجد.

- ماتخافش.

- طب إحكي لي بالضبط عن المشروع. هتعملي إيه.

- بصراحة أنا دوري الحمد لله مهم جداً. و لازم أكون متواجدة لإن أنا من المنظمين و مسؤولة عن تنفيذ الجدول بدقة.

- يعني هتسافري الصعيد؟

تساءل محب.

- بعد إذنك.

- آه.

أطرق واجماً.

- و كل حاجة جاهزة.

- كله تمام. بس بنحاول نلاقي سبونسر أو متبرع جديد لإن عندنا نقص حوالي 10 آلاف جنيه. إن شاء الله هنحاول نجبهم قريب.

- طيب يا حبيبتي.

قال بحنان كمن يكلم طفلة صغيرة.

- ممكن بقي ترتاحي شوية. هقول لفاطيما تجهز عشاء خفيف علشان ننام على طول.

- زي ما تحب.

همست ياسمينا و هي تستغرب عدم مجادلته لها.

و في اليوم التالي لزمت ياسمينا المنزل لترتاح و تسترد قوتها. و في نفس الوقت وجدتها فرصة لتجاري محب فيما يريد كي يطمئن عليها و لا يعترض على السفر في آخر لحظه. على كل حال هي تعلم إنه يحبها و يخاف عليها و هذا هو ما يجعله يقلق عليها، و لأول مرة تشعر ياسمينا أن الراحة لها معنى. فهي راحة بعد تعب لذيذ و أيضاً إستعداداً للرحلة الشاقة التي سوف تكلل هذا التعب، لذا امضت اليوم في الإسترخاء و قررت زيارة والدتها في اليوم التالي كي تراها قبل أن تبدأ نشاطها مرة أخري. إنها لأول مرة تفهم شعور محب و هو راجع متعب من العمل . تشعر بلذة إستمتاعه بالراحة التي كانت شئ عادي بالنسبة لها. لذا بدأت تستعد لعودته من العمل لتستقبله و هي في أحسن صورها. و لم يشغل بالها سوي التفكير في الإجتماع القادم الذي أعلنت رئيسة النادي على الواتس آب إنه سيكون بعد يومين و أن هناك مفاجأة ساره.

جهزت ياسمينا مائدة العشاء و أشرفت عليها بنفسها لتوقد الشموع الخافتة و تشعل موسيقي هادئة كي تخلق جو من الرومانسية يعبر عن شعورها و إهتمامها بمحب الذي ضغط على نفسه و على قلقه الدائم عليها و تركها تسعد بما تفعل. و بالفعل امضيا امسية مبهجه و سعيدة.

****

و في يوم الإجتماع وصلت ياسمينا في الميعاد و امضت الوقت مع زملائها و زميلاتها في التسامر و في محاولات التكهن بالمفاجأة التي أعلنت عنها رئيسة النادي التي إعتذرت لهم بشدة عن تأخرها.

و بدأ الإجتماع و شكرت الرئيسة كل الأعضاء و أثنت على مجهوداتهم، و تمنت النجاح للقافلة، و أعلنت عن موعدها النهائي و عن مسئوليات الجميع فرد فرد. ولما جاء دور ياسمينا أعلنت السيده بسعادة و إمتنان.

- لازم أخص بالشكر السيده ياسمينا المنجي على مجهودها الجبار رغم أن ده ممكن يسبب لها مشاكل صحية. هي بجد لم تبخل بأي شئ على الإطلاق و علشان كده أنا و الله من قلبي بأقبل اعتذارها عن السفر مع القافلة لأسباب صحية. و بأقولها أن ماكنش فيه داعي تشعر بأي إحراج و كفاية تبرعها بمبلغ 15 الف جنية مش بس 10 آلاف. حلت بهم المشكلة. و كفاية إنها ماكنتش عايزة تعلن إنها المتبرعة بجد

- مش عارفة أقولك إيه. Thank you very much

و صققت الرئيسة و صفق الجميع. و تزاحموا على ياسمينا يشكرونها و يهنئوها. و لم تدرك هي ما يحدث، و لم تفهم شيئاً، من الذي اعتذر؟ و من الذي تبرع؟ و ما كل هذا و لما يتكالب الجميع عليها و يلتفتون حولها؟ كانت الصدمة شديدة عليها عندما بدأت تعي ما يحدث، شعرت بقلبها يدق سريعا و بالدنيا تدور من حولها و الضوضاء تحيط بها. ثم بدأ كل ذلك يخفت و كأن كل شئ يحدث في عالم آخر. و لم تشعر بشئ بعد ذلك.

أفاقت ياسمينا على همهه تملأ المكان حولها، و رويداً تحولت الهمهمة إلى أصوات عالية تنم عن قلق و إرتباك.فلم يستطع أحد إستيعاب ما حدث. فالكل قلق عليها و يريد المساعدة، و عندما إستعادت كامل وعيها بعد الصدمة التي تلقتها لم تجد في نفسها رغبه للكلام أو التوضيح. كان كل ما ترغب فيه هو أن يتركها الجميع وحدها و أن تعود إلى منزلها في هدوء و بدأت تسمع تعليقات مثل:

- فعلاً تعبانة.

- حرام المجهود ده كله.

- لازم تريح فعلاً.

- صحتها لا تحتمل.

- أرجوكم. عايزة أروح البيت.

كان كل ما تمكنت ياسمينا من التفوه به. و فعلاً سأعدتها صديقاتها على إستدعاء السائق، و توجهت إلى منزلها في صمت و حزن شديدين.

لقد أدركت ما حدث. هي تعلم أن محب قد تدخل بطريقة أو بأخري و إنه وصل إلى رئيسة النادي و إنه تبرع بإسمها و اعتذر نيابة عنها تحت ستار أنها محرجة. و بقدر شعورها بالغضب كانت أيضاً تشعر بالإرتباك. هي تعلم جيداً أن ما فعله محب هو بدافع الحب و الخوف عليها. و قد كان تبرعه في منتهي الكرم و الذكاء أيضاً. لكنها لا تستطيع قبول ذلك. لقد بدأ شعورها بالإختناق يزيد. إنها لا تدري ماذا تفعل و ما هو التصرف الصحيح. لكن الشئ الوحيد المتأكدة منه هو أنها تشعر بالغضب من هذا التدخل السافر و التجاهل لرغبتها و كيانها حتي و إن كان هذا تحت بند الحب و الإهتمام. و لذا فإنها عندما وصلت إلى المنزل لم تجد في نفسها رغبة في أي شئ .لا تريد أن تأكل أو تتكلم أو تناقش أو حتي تفكر و الأهم أنها لا تريد أن تري محب في تلك اللحظة. و لذا قررت أن تأخذ حماماً ساخناً و تطفئ النور و تستلقي في السرير و تنام حتي الصباح بدون أي إزعاج.

و عندما إستيقظت أدركت أن محب كعادته كان من الحساسية إنه تركها تنام بدون أن يزعجها. بل إنه نام في الحجرة المجاورة حتي لا يسبب لها أي نوع من أنواع القلق. و زاد ذلك من شعورها بالإنزعاج و الإرتباك، فهي لا تدري ماذا يجب أن تفعل.

و كما توقعت إتصل محب ليطمئن عليها. و تحت إلحاح رنات الموبايل إضطرت أن ترد عليه لتخبره أنها متعبة و تريد أن ترتاح وحدها. و أمضت اليوم بالفعل في غرفتها، لم تغادرها، و لم ترغب في عمل أي شئ ،و لا حتي الرد على الأصدقاء الذين يريدون الإطمئنان عليها .

و لم يخيب محب ظنها ، فرجع من المكتب قبل ميعاده بحوالي ساعة. و طرق باب الغرفة برقة قبل أن يفتحها بلهفة يشوبها قلق.

- إزيك دلوقتي؟

- الحمد لله.

- مالك فيه إيه؟

تساءل محب.

و كأن السؤال فجر بركان الغضب الكامن بداخلها. فلم تشعر بنفسها إلا و هي تصيح بغضب.

- عمري ما شعرت بإهانه زي اللي شعرت بيها إمبارح.

- إهانه!!

رد بإستعجاب.

- طبعا إهانة.

صاحت.

- يعني إيه تعتذر بالنيابة عني. يعني تتصل برئيسة النادي و كأنك ولي أمري و كإني تلميذة في مدرسة. إزاي تعمل كده؟ مين عطالك الحق ده.

- حبي لك هو الدافع لكل ده. أنا خايف عليكي.

- خايف. خايف. أنا خلاص زهقت من النغمة دي. أنا مش قادرة أستحمل أكثر من كده.

نظر إليها غير مصدق.

- يعني إيه؟

- يعني كفاية كده. أنا مش طفلة و إذا كنت مريضة فأنا مسئولة عن نفسي و إذا كنت مش قادر تستحمل بلاش.

- إزاي تقولي كده؟ هو ده الرد على حبي لك؟

- لا. بس كده فعلاً مش معقول.

لم يستطع محب الرد و بدا عليه الإرتباك و الندم. و ترقرقت عيناه بالدموع.

- أنا آسف. غصب عني. أنا فعلاً تسرعت. بس كنت فاكر إن التبرع هيكون مفاجأة لك و هيرفع عنك أي حرج. يظهر إني إتسرعت.أنا آسف.

شعرت ياسمينا بالإشفاق عليه. فهي تعلم حسن نيته فعلاً.

- طب أرجوك سيبني لوحدي دلوقتي، بلاش نتكلم أكثر من كده أنا فعلاً تعبانة.

- حاضر. حاضر. بس أرجوكِ ما تزعليش.

قبل رأسها متلعثماً و خرج من الغرفة في إرتباك شديد.

في اليومين التاليين تحاشي كلاً منهما الآخر. لم يتكلما سوى في أضيق نطاق. تملك الإثنان شعور بالذنب، هو يشعر إنه يضيق عليها الخناق أزيد من اللازم، و هي تشعر أنها قست عليه حين لم تتحمل ضعفه تجاهها. لكنها في نفس الوقت لا تتمالك نفسها من الشعور بالضيق و الإختناق، و زاد هذا الشعور عندما بدأت تتابع أخبار القافلة الطبية من الفيس بوك و الواتس آب. كانت تشعر بالإحباط لأنها ليست جزءاً من هذه القافلة التي طالما تعبت في التجهيز لها و حلمت أن تكون جزء منها كي تشعر بكيانها و حريتها و بأن لها دور ذا قيمة. لكن حالتها المعنوية تحسنت قليلاً عندما انتهت القافلة و تلقت هي دعوة رسمية من رئيسة النادي لتحضر الإحتفال بنجاح القافلة.

و في الحفل شعرت ياسمينا بأهمية دورها مرة أخري فقد كان الجميع يهنئونها على نجاح القافلة التي لم تكن لتنجح بدون مجهودها. و كان يجب أن تعترف أن تبرع محب كان له دور كبير في إبراز دورها. لكنها لم تعرف هل كان ذلك يسعدها أم العكس. و في نهاية الحفل أعلنت سكرتيرة النادي إنه تقرر تنظيم رحلة إستجمام لمدة 4 أيام في الإسكندرية في فندق هيلتون كينج رانش للإستمتاع بجو كينج مريوط ، بالطبيعة و الهدوء الذي يتميز بهما المكان كله، و تم فتح باب الحجزللرحلة، و لفت نظر ياسمينا أن جميع المشتركين في الرحلة هذه المرة من النساء، فالبرنامج يتضمن الإستمتاع بخدمات ال spa و هي تجميلية في المقام الأول ، فهناك من يردن الإستمتاع بالحمام المغربي، و هناك من يردن الإهتمام ببشرتهن، ثم أن هناك عرض أزياء مهم سوف تتكالب عليه نساء المجتمع. لفت نظرها أيضاً سرعة النساء في إتخاذ قرارالإشتراك في الرحلة دون تردد و دون الحاجة للرجوع لأحد. هن يستمتعن بقدر كافي من الحرية. و قررت ياسمينا أن تشاركهن نفس الشعور و سجلت اسمها كإحدي المشتركات في الرحلة.

و في المساء إنتظرت محب. و كانا قد رجعا لطبيعتهما. تناولا العشاء سوياً و صعدا إلى حجرة نومهما معا و قررا مشاهدة إحدي الأفلام القديمة. و لاحظ محب عليها إرتباكاً لم يفهمه.

- مالك؟

تساءل.

- أبداً. مافيش.

- فيه حاجة تعباك.

- لا و الله.

إبتسمت.

- طب حد زعلك.

- لأ خالص.

- أُمال إيه؟ شكلك عاوزة تقولي حاجة؟

- بصراحة. أنا إشتركت في رحلة 4 أيام إلى الإسكندرية مع النادي. كل الستات إشتركوا فيها.

- طب و ما له.

فاجئها الرد فلم تتمالك نفسها من الإعلان عن سعادتها.

- بجد!! يعني مش زعلان.

قامت إليه كالفراشة تحتضنه و هي تشعر بالسعادة.

- أزعل ليه يا حبيبتي؟

قال مداعباً برقة و قد سعد بسعادتها.

- أنا مش عايز غير إنك تكوني مبسوطة. بس أرجوك خلي بالك من نفسك قوي. علشان خاطري.

كان حقاً سعيداً لسعادتها و كان يشعر أيضاً أن في موقفه هذا إثبات إنه يحاول التغير. ثم هو بمثابة إعتذار عن حماقته في التصرف بما يخص القافلة.

و فعلاً جاء يوم الرحلة و ياسمينا في قمة السعادة. لم يعكر صفوها أي شئ. إستعدت و أعدت كل ما تريد. و لم يضايقها محب في شئ سوي في تعليقاته المعهودة.

- خلي بالك من نفسك.

- خدي الفيتامينات.

- ما فيش داعي لمجهود في السباحة.

- أنصحك بالإستلقاء و التدليك و الحمام المغربي و الجاكوزي.

- حذاري من الساونا.

و كانت كل تعليقاته بالنسبة لها عادية. تقبلتها بهدوء و رضا بل و أحياناً بروح الدعابة. كل ما في الأمر إنه أعادها عليها عدة مرات حيث أصر أن يوصلها للأتوبيس بنفسه. و في الطريق كان يكرر نصائحه. و ياسمينا لا تسمع فهي تتطلع إلى الرحلة القادمة و تحلم بها. و عندما وصلوا و قام بوضع حقائبها بنفسه لتكون في الأول ، التفتت إليه و هي تودعه ضاحكة و قالت

- إوعي تشيلي الشنط بنفسك إوعي تنزليها من ال"Bus "

و ما أن ركبت الأتوبيس و تحرك بهم حتي شعرت ياسمينا أنها كالفراشة تطير سعيدة ، تحلق في كل مكان. شعرت أنها خفيفة و سعيدة و أن فيها طاقة لم تكن هي نفسها تعلم بوجودها، طاقة على الحياة ، على الإنطلاق ،على الإستمتاع .، إنها الحرية.

هي لا تريد أن يشاركها أحد أي شئ. هي تريد أن تفعل ما تريد وقتما تريد و في الفندق أخذت غرفة سنجل كيفما تريد. و ستعد برنامجها اليومي بنفسها فقط. سوف تنزل حمام السباحة و تستمتع بالجاكوزي و سوف تعمل حمام مغربي و تقشير لوجهها. و الأهم من ذلك الساونا.

و قبل أن تبدأ في تنفيذ برنامجها طلبت محب لتطمئنه عليها.

- أنا وصلت.

- حمد الله على السلامة.كله تمام.

- الحمد لله بس المشكلة إني نسيت ال Charger بتاعي.

- يعني إيه!!

تساءل منزعجاً.

- هنعمل إيه؟

- ولا يهمك. أنا بس هقفل الموبايل لغاية بالليل و هحاول أدور على شاحن.

- يعني مش هنتكلم لغاية بالليل.

- عموماً كده كده هروح الجاكوزي و بعدين انام. يالا باي باي علشان ألحق الميعاد.

- باي باي.

أغلقت الخط و أغلقت الموبايل تماماً و كان أول شئ عملته هو الساونا. إستمتعت ياسمينا بكل شئ. لكن أكثر ما إستمتعت به هو الساونا. في الحقيقة هي لم تكن تريد أن تفوت أي فرصة لتجربة كل شئ و الإستمتاع به. كانت تنهل من كل شئ حولها. تستيقظ باكراً لتستمتع بالإفطار مع زميلاتها ثم تستمع إلى الموسيقي امام حمام السباحة. و لا تنسي الإستمتاع بمياة الحمام الدافئ. بعد ذلك تستلقي في الشمس و تنام قليلاً ، و في الظهر تأكل البيتزا و تشرب المياة الغازية بشراهه. و هي لا تنسي أن تأخذ نصيبها من الإستمتاع بالتدليك و الجاكوزي و الحمام المغربي المريح. و في المساء تستمتع هي و صديقاتها بحفلات رقص الزومبا و الموسيقي الصاخبة. كانت تشعر أنها في الجنة. و أجمل شئ هو أنها تفعل ما تريد وقتما تريد. و كل شئ جميل و ممتع و برئ في نفس الوقت .

و في اليلة الأخيرة كانت تشعر ببعض من الضيق لأن الرحلة اوشكت على الإنتهاء . على كل حال هي تنوي الإشتراك في الرحلات المماثلة فقد ذاقت حلاوتها، و هي تنوي إستعادة ذلك وقتما تتمكن.

كانت الليلة الأخيرة هي ميعاد حفل كاريوكي صاخب ينوي الجميع الإستمتاع به. وقفت ياسمينا امام المرآة تستعد للحفل في إهتمام. و رن التليفون الداخلي للغرفة ففهمت أن صديقتها هيام تستعجلها.

- آلو. أيوه.

- ألو.

جاءها صوت رجل واضح و صريح.

- مين.

- أنا محب يا ياسمينا. مش عارفة صوتي و لا إيه.

- يعني إيه؟ هو مش ده التليفون الداخلي.

تساءلت.

- أيوه أنا هنا.

- هنا فين.

- في الفندق. تحت في اللوبي.

- .....

- أصل جالي إجتماع في الإسكندرية.

- .....

- أنا طالع. افتحيلي.

شعرت ياسمينا بالصدمة و ليس الإندهاش. ما هذا؟ ما الذي أتي به؟ ألن يكف عن مطاردتها؟ هل سيصر على حرمانها من أي مساحة من الخصوصية تريد الإستمتاع بها؟ اليس هناك نهاية لذلك؟ ألن يتغير ابداً؟ بدأ الغضب يحل محل الصدمة و الإندهاش.جلست على الفراش و حاولت إستنشاق بعض الهواء لتهديء غضبها. و قررت

ألا تفعل أي شئ يحرمها من الإستمتاع بالحفل الذي كانت تستعد له. و لتؤجل أي شئ إلى الغد بعد السفر. فقد قررت وضع حد واضح لكل ما يزعجها.

عندما دق باب الغرفة . فتحته مبتسمة ببرود و لم تسأل محب عن أي شئ. لكنه كان يشعر بالإرتباك فبدأ يبرر.

- كان عندي إجتماع الصبح في الإسكندرية فقلت أحضره و أبات معاكي و نسافر الصبح سوا.

- آه طبعا.

قالت ببرود.

- أصل تليفونك مقفول معظم الوقت فلم أتمكن من الإتصال بك.

- أيوه أيوه.

ردت.

- على كل حال ممكن ترتاح و تغير هدومك و تستحم و لو عايز تحضر معايا الحفل تعالى.أنا مضطرة أروح علشان كلهم منتظرين.

بدا عليه الإستغراب لكن الشعور بالذنب جعله يطرق في وجوم.

- عايز أي حاجة قبل ما امشي.

سألت.

- لا متشكر. غالباً هأنتظرك هنا. أنا تعبان من السفر.

و عندما أغلقت ياسمينا باب الغرفة نست أو تناست كل همومها و توجهت إلى حيث تنتظرها صديقتها إلهام ليلحقن بالأخريات . و بدأ الحفل.

تحاشت ياسمينا أي كلام أو جدال في الصباح. و إستأذنت من زميلاتها أنها ستسافر مع زوجها بدلاً من الأتوبيس . و في الطريق إستسلمت للنوم على رتم السيارة و الطريق.

فتحت عيناها بعد الماستر ووجدت نفسها تقترب من القاهرة و قد حل عليها تعب الرحلة الذي منعها حتي من إظهار غضبها.

- أخيراً.

صاح محب.

- معلش اصلي تعبانه شوية.

- من المجهود.

علق محب.

- يعني. عموماً أنا فايقة دلوقت.

- يعني إنتي مش تعبانة.

تساءل بقلق واحد.

- و الله أنا كويسة جداً

ردت بحدة لم يعتادها.

- طيب أصل أنا عايز أقولك حاجة.

- اتفضل.

دعته بإقتضاب.

- أصل فيه حاجة صغيرة كده حصلت.

- فيه إيه؟

تساءلت بقلق.

- أصل. مامتك كانت تعبانة و اضطرينا نعمل لها عملية صغيرة.

- عملية إيه؟

صاحت بخوف.

- هي ركبت دعامة.

- إيه؟؟ امتي حصل ده؟

- إمبارح.

- و ليه ماحدش قالي.

- ماكنش فيه وقت خالص. كانت فعلاً تعبانة.

لم تدري ياسمينا ماذا تقول.

- عموماً هي دلوقت كويسة و هتخرج إن شاء الله النهاردة أو بكرة من الإنعاش.

- إنعاش!!

رددت بخوف.

- إطمئني. إن شاء الله سليمة.

- علشان كدة إنت جيت.

- فضلت أكون معاك.

- يعني ماكنش عندك إجتماع.

- لأ.

وقع الرد عليها وقوع الصاعقة. شعرت بالظلم الشديد. و لكن في هذه المرة كانت هي الظالمة . إنها ظلمت محب ظلماً شديداً. لقد تكبد عناء السفر من القاهرة إلى الإسكندرية كي يقف إلى جانبها. كان يحاول الإطمئنان عليها و حمايتها. و تركها تستمتع بالحفل و بالفندق حتي آخر لحظه ثم أخبرها برفق شديد. و بدلاً من أن تشكره كانت تشعر بالغضب والحنق و تنوي محاسبته حساباً شديداً . حمدت الله أنها لم تتكلم أو تنبس ببنت شفه في الليلة السابقة. لن تسامح نفسها ابداً على موقفها هذا و ظلمها

للإنسان الذي يحبها حتي لو كان حبه خانقاً في بعض الأحيان. إنها تعلم أن صديقاتها يحسدنها عليه. و هي تعلم الآن إنهن محقات. إنه كنز لا تستحقه.

و في المستشفي سيطر عليها و جوم شديد و كأنها في حلم أو كابوس مزعج. فهي ممزقة ما بين القلق على والدتها و ما بين شعورها بالذنب و الندم. و كان الجميع موجودين، أختها و أخاها و زوج أختها و خالتها و إبنها عمر. لكنها لم تكن تراهم. الجميع يمرون امامها كالأشباح، لا تراهم و لا تسمعهم. اما الأطباء و الممرضات و الزائرين فهي لا تراهم و لا تسمعهم و لا تفهم كلامهم. و الأيام تمر كالحلم المزعج الذي لا يريد أن ينتهي. و في اليوم السادس سمح الأطباء لأم ياسمينا بمغادرة المستشفي في اليوم التالي على أن تكون تحت رعاية مكثفة في المنزل. و كما هو متوقع أصر محب على أن يستضيف حماته في منزله حتي تشفي، و جاء لها بممرضة تقضي معها معظم اليوم، و تقوم على خدمتها حتي لا يشعر احد بالتعب و يكون الجميع مطمئنين.

كانت ياسمينا تتابع كل ذلك و هي لا تدري هل تشعر بالإمتنان أم بالسعادة و الرضا أم بالخجل من نفسها. فهي لا تستحق هذا الرجل الذي يأسرها بحبه و كرمه كما يأسرها في كل شئ.

و بعد مرور حوالي شهر عادت أمها إلى منزلها و بدأت ياسمينا تعود لحياتها اليومية العادية. و رويداً بدأت تعاود نشاطها الإجتماعي مرة أخري. و لكنها شعرت و كأنها تريد فترة نقاهه تستعيد بها توازنها و تحدد مشاعرها و ما يجب عليها أن تفعله بالظبط. و لذا شعرت براحة بالغة عندما ابلغها محب.

- على فكرة أنا هأسافر الإسكندرية خمسة أيام.

- إشمعنى.

سألته.

- عندي معرض ثلاثة أيام في أرض المعارض. و يومين قبله للاعداد.

- يعني أنا مش هأروح معاك.

- لا. متهيأ لي مافيش داعي. تعب على الفاضي. مش هأعرف اشوفك.

- تمام. مافيش مشكلة.

في الواقع هو أصلا حل للمشكلة. فسوف تمضي حوالي إسبوع وحدها بدون ازعاج أو اى ضغط.

- على فكرة، أنا مسافر بالقطر، العربية حتكون في الصيانة، لو حبيتي عم محمد يجيبك إسكندرية بها بعد ما يستلمها و نقضي يومين هناك و نرجع بها.

- طب و السفر إمتي؟

- كمان 3 أيام. يعني يوم الأربع. المعرض جمعة و سبت و حد. إن شاء الله أرجع الإثنين.

و في يوم الأربعاء إستيقظت ياسمينا مبكراً لتفطر مع محب و تسلم عليه. و كان اول ما فعلته بعد أن ركب السيارة إلى محطة القطار هو أنها أخذت حمام ساخن و قررت الذهاب لتناول الغذاء في النادي وحدها تماماً. فهي تحب الإستمتاع بجمال ملاعب الجولف الخضراء و هدوء المكان في النهار. و لم تأخذ معها سوي كتاب لا تطفئ الشمس لإحسان عبد القدوس.

إستمتعت تماماً بالشمس و الهدوء و الخضرة و إستمتعت بالغذاء الخفيف و بزقزقة العصافير و بجمال الجو و عندما جاءت الساعة الخامسة إطمئنت على محب و أخبرته أن الموبايل سيفصل ثم أغلقته و توجهت لحضور إجتماع النادي.

و هناك اشتركت ياسمينا في جميع المناقشات و القرارات. و اشتركت في تنظيم رحلة يوم واحد، بعد يومين إلى قاهرة المعز. في النهار يستمتعون جميعاً بشارع المعز، و في المساء يجتمعون في قهوة نجيب محفوظ و يتناولون العشاء على أنغام الموسيقي.

و بعد أن وافق معظم أعضاء النادي على الإشتراك في الرحلة بدأت ياسمينا في الترتيب لها. و في اليوم التالي قامت بالإتصال بشركة سياحة مختصة و حجزت الأتوبيس و المرشد السياحي. ثم قررت تناول الغذاء هي و صديقتها نادين التي تنظم الرحلة معها في مول سيتي ستارز. و بعد الغذاء تجولتا في المول و اشترت ياسمينا ملابس جديدة تنفع في رحلة شارع المعز.

- إيه رأيك؟

سألت صديقتها نادين.

- تيجي نروح سينما من الساعة 7.

- آه. ليه لأ. أنا ماعنديش حاجة النهاردة.

و بعد السينما ذهبت ياسمينا إلى المنزل و هي في غاية التعب و السعادة. و في اليوم التالي إستيقظت متأخرة و قررت الإتجاه إلى الشيخ زأيد لتمضي اليوم هناك حيث علمت أن مجموعة كبيرة من أصدقاءها الروتاريين سيمضون اليوم في أركان و في مول العرب ليرحبوا بضيوف من إحدي نوادي الإسكندرية. و مر اليوم سريعا و مرحاً و مبهجاً و متعباً.

و في يوم الرحلة كانت ياسمينا اول من وصل مبكراً حتي لقد جاءت قبل صديقتها نادين. و تولت زمام الأمور بنفسها. فهي تراجع أسماء المشتركين و تتصل بالمتأخرين و تحاول جاهدة بدأ الرحلة في موعدها. و بالفعل لم يكن هناك تأخير سوي ربع ساعة.

و في شارع المعز إستمتع الجميع بجمال القاهرة الفاطمية بالمباني العريقة و بعبق التاريخ الذي يملأ المكان. و إستمعت ياسمينا إلى شرح المرشد بإهتمام شديد. و دخل الجميع بيت السحيمي و شاهدوا الحجرات القديمة و الحوائط العالية و الأسّرة العالية و النقوش الإسلامية الجميلة.

و من اجمل ما رأوا كان جامع الحاكم بأمر الله، حيث المنابر الأثرية الجميلة. و الأربع مباخر الشاهقة التي كانت تبخر القاهرة القديمة كلها يومي الإثنين و الخميس من كل إسبوع. و في نهاية الوقت توجه الجميع إلى الحسين و إلى قهوة نجيب محفوظ حيث إستمتع الجميع بالموسيقي الشرقيه على أنغام القانون. و ساد جو من المرح و الإنسجام على نغمات الأغاني القديمة.

و في صباح اليوم التالي إستيقظت ياسمينا متعبة و لكن سعيدة، و كان يسيطر عليهاشعور بالمتعة غير عادي، فالحرية كنز كبير لا يشعر به سوي من لا يمتلكه. و في حوالي الساعة الثالثة رن جرس الموبايل و جاءها صوت محب.

- حبيبتي وحشتيني جداً. مش عارف أكلمك. موبايلك مقفول على طول.

- اهلاً يا حبيبي. ده الإرسال وحش.

- عموماً. حبيت أقولك إني هأركب القطر الساعة 9 بالليل النهاردة و عم محمد هيستناني على المحطة. أنا رأيي تنامي لإني هأتأخر طبعا. و لما آجي هأصحيك لو حبيتي.

- إن شاء الله تيجي بالسلامة.

قالت و هي تعلم جيداً إنه لن يوقظها إلا في الصباح كي لا يزعجها.

و لكنها تشعر بإنزعاج شديد، فقد انتهت الأجازة و انتهت فترة الحرية، و للمرة المائة تشعر ياسمينا بالذنب و بأنها قاسية القلب. على كل حال سوف تتجاهل كل ذلك و تذهب لمقابلة إلهام صديقتها حيث قررتا الغذاء في مطعم لبناني شهير. و في نهاية اليوم ذهبت إلى منزلها متعبة و أرسلت رسالة لمحب لتخبره أنها ستغلق الموبايل و تنام حتي الصباح و إنه يمكن له أن يوقظها حين يجئ ، و كانت واثقه تماماً إنه لن يزعجها و لكنها فعلاً بحاجة إلى النوم و إلى عدم الإزعاج.

و راحت ياسمينا في نوم عميق و كأنها لا تريد أن تستيقظ. لم تستيقظ طول الليل و لا تتذكر أنها كانت تحلم. و لكنها بدأت تشعر بإزعاج غريب و بحركة غير عادية أجبرتها على الإستيقاظ. نظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط فوجدتها الساعة السادسة صباحاً. و إستغربت من صوت حركة محب و صوت خطواته و هو يتحرك في الدور الأول. لما كل هذه الحركة و كل هذا الإزعاج؟ هل هي طريقة جديدة كي يوقظها هذه المرة ليراها دون أن يشعر بالذنب.

قامت متثاقلة و فتحت باب حجرتها و هي تشعر بالإستغراب و عدم الإرتياح فالحركة يبدو أنها لأكثر من شخص. قررت النزول بنفسها لتري ما يفعله. و كم كانت دهشتها عندما لم تري محب و لكن وجدت أختها داليا و زوجها و اخوها على و معهم أحمد أخو محب. و زاد من دهشتها وجود عم محمد السائق. و بدا الوجوم على الجميع و ظهر عليهم الإضطراب الشديد عندما رأوها.

- فيه إيه؟

صاحت بقلق شديد.

- انتم بتعملوا إيه هنا.

- .....

- حصل حاجة.

صرخت بفزع.

- ماما مالها و فين محب؟

لكن احداً لم يرد و زاد الصمت من خوفها.

- إتكلموا.

صرخت بإنفعال.

- حصل إيه؟

- ماما كويسة.

همست داليا.

- أمال إيه. فين محب طيب.

- .....

- حد يرد علىَ.

- القطر عمل حادثة.

رد أحمد بانفعال.

- محب فين ؟

- .....

- ردوا علىَ.

- بس إنتي إهدي.

قالت داليا و هي تتجه إليها لتأخذها في حضنها و تربت عليها.

- يعني إيه؟

- عربيات الدرجة الأولى إتدمرت تماماً ما فيش فيها احياءً.

قال على بحزن شديد.

و انفجر عم محمد باكياً.

- كنت مستنيه بس ماوصلش.

- قصدكم إيه؟

تساءلت ياسمينا بعدم ادراك لقصدهم.

- شدي حيلك.

همس اخوها.

لم تفهم ياسمينا ما يدور حولها و لم تعي أي شئ. تملكها وجوم شديد و صمت رهيب.

لم تحملها ساقاها، فجلست مترنحة على اول كرسي، و كان الكرسي المفضل لمحب، نظرت إلى الكرسي بإستغراب، تحسسته، و كأنها تسأله أن يكلمها و يشرح لها، ثم نظرت إلى جميع الوجوه المتطلعة إليها و لم تنبس ببنت شفه.

امتدت إليها يد أختها مرتعشة لتعطيها قرص من الدواء المهدئ الخاص بها .

- حبيبتي خدي ده. إنت صحتك لا تحتمل أي صدمات.

- مش عايزة.

- لازم تأخديه.

صاح على.

- مش هأخذ حاجة.

- إسمعي الكلام لو سمحتي.

- رد أحمد.

- مش هأسمع كلام حد.

صاحت ياسمينا.

- ابعدوا عني. سيبوني في حالي.

- اهدي يا حبيبتي.

قالت داليا.

- قلت لكم سيبوني في حالي. أنا مش عايزة حد و مش عايزة حاجة.

صاحت و هي تندفع نحو السلم لتصعد إلى حجرتها.

- من فضلك يا ياسمينا.

رجتها أختها.

- ما تصعبيش الأمور.

- لو حد جه ورايا مش حيحصل كويس. أنا عايزة أكون لوحدي.

و صعدت إلى حجرتها و أغلقت الباب بالمفتاح و لم تلتفت لأحد. و لم تعر محاولتهم أي إهتمام حتي يأس الجميع و قرروا تركها لوحدها و النزول لمناقشة ما يجب عمله.

و في حجرتها انفجرت ياسمينا باكية، هي مازالت لا تصدق، و لا تتخيل ما حدث، هل حقاً مات محب؟ هل لن تراه بعد الآن؟ ألن يلاحقها بإهتمامه الذي طالما اختنقت منه؟ ألن تسمع صوته الحنون و تشعر بيده الحانية و بدفء مشاعره مره أخرى ؟أعياها البكاء حتي غفلت عينيها و لم تشعر بما حولها.

إستمرت على هذه الحالة من الذهول حتي أفاقت مره أخري على صوت دق على الباب و صوت أختها الملهوف يناديها.

- أنا كويسة.

ردت بإقتضاب

- إفتحي.

- كفاية خنقة. قلت سيبوني

سمعت صوت أقدام أختها تنزل السلم. فرفعت رأسها لتنظر حولها إلى حجرتها و حجرة محب. ثم بدأت تشعر بالخوف الشديد. و لهول صدمتها هي نفسها لم يكن الخوف بسبب ما حدث. لكنه خوف بسبب المشاعر التي بدأت تشعر بها تتحرك في صدرها.

وجدت نفسها تتجه نحو النافذة و تفتحها على مصراعيها. نظرت إلى الطبيعة في الخارج و كأنها تري الحديقة لأول مره. إنها حديقة جميلة، و الجو رائع ، و الشمس مشرقة، و رائحة الياسمين الذكية تملأ انفها. إنها تشعر بالإنتعاش الشديد، بل الأسوأ من ذلك إنها تشعر بأنها مثل العصفور الذي لمحته في الأفق. هي تريد أن ترفرف جناحيها و تطير في الأفق مثله. إنها تشعر أنها حره بجد.

و كانت كل هذه المشاعر بالنسبة لها مفاجئه و مزعجة. ما معنى هذا؟ هل هي جاحدة إلى هذا الحد؟ هل قلبها بهذه القسوة؟ هل هذا هو ما يستحق محب؟ إنها حزينة عليه ،و حزينة بشدة، و ستفتقده وتدعو له و تذكره دائماً بالخير، هذا النبع من الحنان المتفجر، لكنها تشعر في نفس الوقت بالإرتياح، و كأن حمل كبير كان يجثم على صدرها قد أزاحه أحد.

-أنا حرة.

صرخت في شرفتها.

لكنها سيطرت على نفسها و على مشاعرها فلا يجب أن يشعر أحد بما تحسه أو تفكر فيه. إن محب لا يستاهل ذلك. ثم إن احداً لن يفهمها و يجب عليها أن تمثل دورها حتي آخر لحظة.

فتحت الدولاب و امتدت يدها إلى ثوب أسود اللون، ارتدته في هدوء، و قررت النزول إلى هؤلاء الذين ينتظروها، فتحت باب حجرتها بهدؤ، توجهت إلى السلم ببطء، و هالها منظر الجميع و هم يتطلعون إليها و هي على السلم،في نظراتهم مزيج من الشفقة و الخوف و التعاطف، و لا احد ينطق.

ارادت أن تصرخ، أن تقول لهم لا تفرضوا شئ على. لن اسمح لأحد بالوصاية علَى بعد الآن. إتركوني أعبر عن مشاعري الحقيقية، لا تلقنوني ما افعل، لكنها تدرك أنها لن تستطيع أن تقول أي شئ.

سكتت و سكت الجميع و إستمروا يتطلعون إليها و هي تنزل السلم ببطء. و فجأه كسر الصمت صوت مفاتيح و باب المنزل و هو يفتح ببطء. التفت الجميع نحو الصوت و إذا بهم يرون محب و هو يفتح الباب في هدوء ثم نظر إليها في إستغراب.

- فيه إيه؟

- إنت كويس؟

صاح اخوه.

- مش فاهم.

- القطر عمل حادثة.

وضح أحمد.

- قطر إيه!!

تساءل بإستغراب ثم ضحك قائلاً

- أنا اصلي ما ركبتش فيه، أنا جيت مع واحد صاحبي بعربيته الخاصه. كان قايم في الفجر بعد ما خلص مشوار كان عنده، و مارضتش ازعج ياسمينا.

- لأ ، لأ ، مش معقول.

صرخت ياسمينا.

- مش معقول. حرام عليكم.

و لم يتحرك احد فقد عقدت لسانهم الدهشة و هم يرونها تتهاوي مغشياً عليها و تسقط من على درجات السلم و تتوقف عند اقدامهم و هي جثة هامدة.

و في العزاء حزن الجميع على هذه الزوجة الوفية التي لم يتحمل قلبها المريض فرحة عودة زوجها سالماً. و شعروا بتأنيب الضمير و لم ينسوا كلماتها " حرام عليكم" التي تذكرهم بتسرعهم في نقل الخبر إليها. و لم يدرك احد إنها إنما قصدت حرام تعطوني الأمل ثم تأخذوه مني في نفس اللحظة. لن أتمكن من الحياة بعد ما ذقت طعم حريتي.

بتلوموني ليه

وقفت فاطمة ذات السادسة والعشرين رِبيعًاً في قفص الاتِّهام في قاعة المحكمة ،كانت لا تصدق ما يحدث حولها ، المكانُ مليءٌ بالضوضاء والهرج والمرج، والناس تتحرك أمامها كالأشباح ، هي لا تراهم ولا تفهم ما يقولون، بل هي أصلاً لا تعي ما يحدث حولها ولا تستوعب ما يدور في القاعة، هي تدرك أنَّ هناك قضية ومحاميًا وادعاءً وقاضيًا، لكنها لا تفهم منهم شيئًا ،إنَّها تشعر أنَّها في كابوسٍ مخيفٍ، في حلمٍ طويلٍ وكئيبٍ لا يريدُ أن ينتهيَ ، كلَّما حاولتُ أن تستيقظَ مِن هَذَا الحُلمِ تَجدُ من يشدُّها إليه مرة أخرى وكأنَّ هناك ما يدفعها أن تسقطَ في هذهِ الهوة العميقة التي لا ترى فيها أي بصيص من النور ، الظلام يُحيط بها فهي لا تري شيئًا والأصواتُ تأتيها من بعيد ، فتفقد معناها ولا تنطق بأيِّ حرفٍ مفهومٍ.

فاطمة فتاة صعيدية بسيطة ، جمالها الصعيدي جمالٌ هادئٌ ، سمرة بشرتها تذكر بسمرة الأرضِ التي تنتمي إليها ، وهدوؤها الواضح يعكس سَكِينة النيلِ الساحرِ الذي تربَّت على ضفتيه ، كل شيء فيها يفوح منه عبق الصعيد، ورائحة الأرض، وعبير النيل، وأصالة الجنوب ، لكن شيءٌ ما يعكر صفو كلِّ ذلك ، شيءٌ ما يشوب هذا الهدوء ويعكر صفوالسكينة ويُطفئُ السِّحرَ ، فمن الواضحِ أنَّ كلَّ ذلك يخفي تحته بحرًا هائجًا وليس نيلًا هادئًا. فالدَّوامات يموج بها قاع البحر، والزلازل تهز هذا الكيان الهادئ. فقد لا تبدو واضحة للعيان ، ولكنها كامِنة في القاع ، لا تهدأ ولا تتوقف ، والفتاة تقف في مواجهة الجميع في قفص الاتهام ، تخفي ما يدور بداخلها لكنها لا تستطيع تجاهله ، تخفي مشاعرها , لكنها تحس بها وتعتصرها من الداخل ، فَلِم كلَّ هذا ؟ ولِمَ هي هنا؟ وما الذي يحدث؟ وهل بالفعل كل هؤلاء الناس في القاعة من أجل محاكمتها؟ وهل هي حقاً تستحق ذلك؟ ولم تفق فاطمة من غيبوبتها ولم تتواصل مع الواقع إلا عندما سأل الدفاعُ سؤالًا واضحًاً طالما خطر ببالها وطالما رددته لنفسها.

- هل فاطمة هي حقًا الجاني؟ أم هيَ الضَّحية؟

هنا فقط استيقظت فاطمة من الكابوس ، هنا فقط بدأت تعي ما يحدث وكأنها كانت في انتظار أن يسألها أحد هذا السؤال لتبدأ في تذكُّر ما حدث وفي النظر إليه وكأنها تشاهد شريط سينمائي يمر أمامها لتستعيد كل الأحداث.

****

تذكَّرت فاطمة صوتَ القطارِ الذي ملأ أذناها، وضجيج عجلاته الذي هزَّ كيانها كما هزَّ وجدانها ، خبرُ وفاة والدها الذي وصلها قبل أن تستقل القطار بعدة ساعات ، كانت في طريقها من أسيوط حيث تقيم عند خالتها إلى قريتها الصعيدية النائية لحضور عزاء أبيها.

كانت صدمة وفاة أبيها المفاجِئة شديدة الوقع على فاطمة ، لم تكن هناك أيَّ مقدماتٍ، كانت الوفاة مفاجِئة، وسريعة، وهادئة، كعادته لم يسبب أبوها أيَّ إزعاج لمن حوله، وافته المنية في فراشه وهو نائم، لم يزعج أحدًا، لم يطلب أيَّ شيء من أحد، بل لم يشعر به أحدٌ ، حتى وفاته كانت سهلة وسريعة ، ككلِ شيء في حياته، لكن رغم الهدوء الظاهري ، إلَّا أنَّ الوفاة هزَّت وجدان فاطمة وزلزلت كيانها ، شعرت في لحظة أن ظهرها قد انكسر، فهمت معنى فقدان السندِ والظهر والوتدِ الذي تستند عليه. كانت تحب أباها وتجلُّه وتهابُه في نفس الوقت، كان بالنسبة لها الحنان والحب والقوة والجبروت، والسند في نفس الوقت ، لقد كان أحنَّ من أمها عليها وأشد قسوةً من الغريب.

يحنو عليها دائمًا ، لكنه يقسو عليها عند اللزوم, تهابه وتخافه وتحتمي به وتشعر بقوة أحضانه الدافئة حين يضمُّها ، كان يدللها ويفضلها أحيانًا على أخيها الوحيد لشعوره بضعفها كفتاة رقيقة في هذا الزمن القاسي ، لكنه كان يعاملها بشدته المعهوده كلما دُعِي الأمر، لا تعلم فاطمة ماذا يخبئ لها الزمن بعد وفاة والدها ، فرغم حبها لأمها إلَّا أنَّها تعلمُ أنَّ أحداً لن يملئُ مكان والدها الحاج شديد كبير آل وهدان وشيخهم ، إنَّه حقًا رجل قلَّما يجود به الزمان، فهو إلي جانب قوة شخصيته وحنانه اللذان يكوِّنان مزيجاً عجيباً فهو يتميز أيضًا بفطرةٍ متطورةٍ وشخصيةٍ مرنةٍ.

ولذا شجَّعَ ابنته على إتمام دراستها وعلى الالتحاق بالجامعة في أسيوط ، وسمح لها بالإقامة عند خالتها في مدينة أسيوط حتى تنهيَ دراستها ، وهو يشجعها الآن على المضي في دراستها العليا والتحضير لدراسةِ الماجيستير ، وهو شيء غير معتاد في قريتهم النائية ، لكنَّها ابنة الحاج شديد وليست ابنة أي شخصٍ عادٍ ، رَبَّمَا أيضًا كان والدُها يريد أن تحققَ ما لم يحققه أخوها عبد القوي الذي لم يحصل على شهادة جامعية ، واكتفى بقسطٍ محدود من التعليم ، وبدأ يدير الأرض والأملاك مع والده بمهارة ، لكن تلك المهارة لم تجعل والده ينسى أبدًا حلمه في أن يكونَ أولادُهُ من حاملي الشهادات الجامعية.

كان كلُّ ذلك يدورُ في ذهنِ فاطمة وهي في القطار في طريقها إلى قريتها النائية ، كانت دموعها تنساب على خديها كحبَّاتِ اللؤلوء، فرغم رقتها وهدوئها الواضحين فقد كان كيانها كله يهتزُّ من الداخل ، هي لم تعهد التعبيرعن مشاعرها ولا الإفصاح عمَّا بداخلها ، ولا تحب أن يرى أحد حزنها ، لكنها لم تستطع أن تحبس دموعها ، وازداد وجدانها تزلزلًا عندما وصلت إلي بيت العائلة. كانت مظاهر الحِدادِ واضحة منذُ أن فتح لها الغفير بوابة الحديقة الأمامية للدار الكبيرة ذات الطابقين ، وما إن نزلت من السيارة أمام باب المنزل حتى رأتِ النساء المتشحات بالسواد يملأن الواجهة الأمامية والسلالم ، وصعدت درجات السُّلمِ بسرعة محاولة ألَّا تلتفت إلى كل الأيادي التي امتدت تربت على كتفيها والشفاة التي تحاول مواساتها بكلمات معتادة لا تشفي ولا تبرِّدُ نارًا، كانت تريدُ شيئًا واحدًا ، وهو أن ترى أمها وتطمئنُّ عليها وترتمي بين أحضانها.

وفي الداخل وجدت أمَّها جالسة وسط نساء العائلة ، وما أن وقع نظرها عليها حتى شعرت باطمئنان غريب، فها هي أمها قوية ومتماسكة كعادتها، ورغم الحزن البادي عليها إلَّا أنَّها شامخة وثابتة كما هو مُتوقَع ، عند ذلك انهارت فاطمة لأول مرة وارتمت في أحضان أمها واجهشت بالبكاء ، ولم تشعر بنفسها إلَّا عندما شعرت بيدٍ قوية تجذبها من حضن أمها ، وعندما التفتت وجدت أخاها عبد القوي واقفًا أمامها بمنتهى الثبات ، وحين ارتمت في أحضانه هو الآخر ازداد شعورها بالأمان ، فرغم أنَّها كانت كثيرًا ما تختلف مع أخيها إلَّا أنَّها شعرت أنَّه سندها وأنَّه يذكرها بوالدها في قوته ، فهدأت نفسها قليلًا وبدأت تتماسك وترجع إلى طبيعتها وتسيطر على مشاعرها وتقوم بواجبها المطلوب في العزاء.

واستمر العزاء ثلاثة أيام كاملة ، لكنه لم ينتهِ ، فقد فوجئت فاطمة أنَّ المنزلَ مليءٌ بالمعزيين ، وأنَّهم لم ينقطعوا عنِ الدار ، في الواقع ؛ فإن عائلتهم كبيرة وعددها كبير، فهناك آل وهدان أهل والدها وهناك عائلة أمها السلامية ، وبالإضافة إلى ذلك هناك نسايب أخيها عبد القوي وهو متزوج اثنتين ، وكلتيهما من أكبر عائلات النجع.

وهكذا مرَّت الأيام بطيئة وكئيبة حتى جاءت ذكرى الأربعين ، ومرَّ ذلك اليوم أيضًا بكل ترتيباته وتفاصيله الرتيبة الكئيبة، ووجدت فاطمة أنَّها لم تتمكن من الانفراد بأمها أو بأخيها، بل كانت وحيدة وليس هناك في صحبتها سوى الخادمة القديمة "أم بدوي" التي ربَّتها منذ الصغر والتي كانت فاطمة تحبها وتأنس لها.

- أنا تعبت يا أم بدوي.

- مالك يا بنتي .

- مش عارفة ، بس أنا مش قادرة أشوف أمي أو أخويا ومش عارفة هعمل إيه؟

- في إيه؟

سألت أم بدوي بتوجس.

- والله ما أنا عارفة ، المشكلة إني لازم أسافر أسيوط علشان الدراسة هتبدأ ومش قادرة أسيب أمي لوحدها.

- ما تخافيش عليها ، المهم إنتي.

- إزاي يعني؟

تساءلت باستغراب

- يعني شوفي مصلحتك.

- طب وأمي.

- أمك جامدة ، الدور والباقي عليكي إنتي.

- أنا ؟!

- أيوه إنتي.

تنهدت بأسى.

- أنا مش عارفة أنا عايزة إيه.

- مش مهم تعرفي.

همست أم بدوي بأسى.

- إزاي يعني؟

- المهم تعرفي هما ناويين على إيه؟!

- مش فاهمة.

- مش مهم, بكرة تفهمي.

- إيه يا أم بدوي قلقتيني ، قصدك إيه؟

- ولا حاجة ،المهم تعرفي كل حاجة ومتعتمديش على حد.

- وهو إنتي هتفضلي كده على طول؟ بقولك إيه ، أنا مش ناقصة.

- طيب خلاص هسكت.

ولم تعر فاطمة كلام أم بدوي أي اهتمام ، فقد اعتادت على تعليقاتها الكئيبة وتشاؤمِها منذ الصغر.

وفي المساء انفردت فاطمة بأمها لأول مرة منذ فترة ، فقد خلا البيت أخيرًا من المعزيين ، وجلستِ الأم وحدها تحتسي الشاي

- كنت عايزه أقولك حاجة.

بادرت فاطمة

- خير يا بنتي؟!

- أصل أنا لازم أرجع أسيوط.

- ليه؟؟

تساءلت الأم باستغراب حقيقي!!

- عشان الدراسة هتبدأ ، أنا يادوب كنت مقدمة الأوراق قبل الوفاة.

- آه قصدك الشهادة اللي إنتي عايزة تعمليها؟

- اسمها "ماجيستير".

قالت فاطمة موضحة.

- يا بنتي سيبك من الكلام ده وخليكي معانا.

- معلش ، انتي عارفة إنِّ الحاج كان بيشجعني وكان نفسه أكمِّل دراستي.

- والله ما أنا عارفة ، خلاص اللي تشوفيه، مادام مصلحة، ولو إن البنت مصيرها للجواز.

- بس أخلص الدراسة الأول يا حاجة.

- طيب يا بنتي ، وناوية إمتى؟

- يوم الجمعة إن شاء الله.

- على بركة الله بس قولي لأخوكي.

- طبعًا ، بس أنا محتاجة فلوس.

- برضوا قولي لأخوكي.

- حاضر.

وبالفعل بحثت فاطمة عن أخيها عبد القوي الذي لا تجده بسهولة رغم أنَّهما في نفس المنزل ، فهو إمَّا عند زوجته الأولى التي تقيم معهم ، أو عند زوجته الثانية التي بنى لها شقة صغيرة في الدور الثالث، لكنَّها وجدته وحدَهُ في غرفة المكتب الخاصة بوالدها. وعندما دقَّت على الباب مستأذنة ، سمح لها بالدخول ، لكنَّها أبدًا لم تكن مستعدة لرؤيته وهو جالس مكان والدها وعلى نفس الأريكة وكأنه يعلن لنفسه قبل الآخرين أنَّه أصبحَ سيدَ الدارِ والمالك الأوحد لكلِ شيء ، وهالها المشهد ، وارتعدت فرائصها وشعرت بأنها تقوقعت بداخل نفسها , فهي لم تتقبل أن يحل أحد مكان والدها حتى لو كان

أخاها وابنه ، وزاد من شعورها بالضيق أنَّها مطالبة أن تستأذن منه وتطلب منه النقود كما كانت تفعل مع والدها ، ولكن هل تستطيع أن تتدلل عليه كما كانت تفعل مع والدها الحاج شديد؟

- سلام عليكم.

بادرت.

- وعليكم السلام ، تعالي يا فاطمة ، شكلك عايزة حاجة.

- في الحقيقه آه.

قالت بصعوبة واضحة.

- أنا كنت عايزة فلوس علشان لازم أرجع أسيوط يوم الجمعة.

- أسيوط!!

ردَّ باندهاش.

- آه ، علشان الدراسة هتبدأ.

- هو إنتي مش هتسيبك من الكلام ده.

- دي كانت أمنية الحاج ، وأنا لازم احققها له.

- على كل حال ده مش وقته.

- يعني إيه؟

- ولا حاجه سافري ، ولما ترجعي نبقي نتكلم تاني.

- طب والفلوس!؟

سألت متضررة.

- آه طبعًا ، عايزة كام يعني؟

- أنا هقعد على الأقل إسبوعين.

- لا إسبوع كفاية.

أشار بحزم.

- لازم ترجعي كل إسبوع تشوفي أمك لغاية ما نقرر هنعمل إيه بالظبط.

- أمرك.

أطرقت بإذعان.

- طيب خدي دول دلوقتي.

وفتح عبد القوي محفظته وأخرج النقود وعدَّها ببطئٍ ، ثم مد يده إليها بدون اهتمام.

- بس الحاج كان بيبعت حاجات لبيت خالتي علشان أنا بقعد عندها.

- نبقي نشوف الإسبوع الجاي.

- طب ممكن تزود المبلغ شوية علشان يكفي؟

- خدي دول كمان.

قال بتضرر واضح.

مدت فاطمة يدها وهي تشعر بغصة في حلقها ، هي لا تعلم سبب هذا الشعور بالضبط ولكن الضيق يسيطر عليها ، وبعد أن أخذت النقود شكرته ، وذهبت إلى حجرتها لتنفرد بنفسها. لكنها فوجئت بأم بدوي في الحجرة ترتبها.

- خلاص؟؟

سألت أم بدوي.

- بتسألي على إيه؟

- قولتي لهم؟

- آه ، قصدك على السفر؟

- أيوة.

أومأت المرأة.

- قلت لهم.

- وأخوكي إداكي كام؟

إستغربت فاطمة للسؤال الغير متوقع وردت مسرعة.

- مبلغ كويس.

- حقيقي !؟

رددت أم بدوي غير مصدقة.

- بصراحة لأ ، هو إداني فلوس بالعافية.

- آه.

- أصل ما كانش معاه فلوس.

- أيوة.

تنهدت أم بدوي.

- فيه إيه؟

صاحت فاطمة غاضبة.

- ولا حاجة ، بس المرة الجاية تاخدي كل اللي انتي عايزاه.

وسرعان ما جاءت المرة القادمة فقد رجعت فاطمة في الإسبوع التالي لتزور أمها كما اتفقت مع أخيها ، وفي رحلة القطار المعتادة كانت فاطمة تشعر بانقباضٍ شديد , فلأول مرة لا تشعرُ بالرغبة في العودة إلى البيت ، هي لم تعد تشعر أنَّه بيتها وملاذها ، لم تعد تشعر بالدفء المعتاد ولا بالأمان ، هي لا تعلم بالتحديد ما الذي يقلقها ولكن شيءٌ ما تغير منذ لقائها الأخير مع عبد القوي ، وقد زاد من شعورها بالقلق إحساسها أنَّ وجودها عند خالتها لم يعد مريحًا ، فخالتها أرملة رقيقة الحال , مسؤولة عن أربع أبناء ما زالوا صغارًا ، ولذا كان الحاج شديد يهتم بها ويكاد يتكفل بها وبأولادها ، أمَّا الآن ففاطمة تشعر بأنَّ وجودها أصبح عِباً على خالتها ، ولذا قررت أن تساهم في مصاريف البيت بشهرية معقولة تساعدها وتجعلها تعيش هناك معززة مكرمة كما كانت.

وبعد الغداء ، جلست فاطمة مع والدتها وأخيها في المندرة يتجاذبون أطراف الحديث ، وجلست معهم "صابحة" زوجة أخيها الأولى ، وكان الجميع في حالة ترحيب بوجود فاطمة ، كما أنَّ وجود "صابحة" كان يزيد من راحة الجميع ، وكانت فاطمة سعيدة بوجودها ، فهي تحبها وتحب طيبة قلبها الواضحة ، ويكفي تسامُحُها مع زوجها عبد القوي بعد أن تزوج من أخرى بدون أي مبرر ، فلازالت "صابحة" تحبه وتتفانى في خدمته وإسعاده.

ورغم كل ذلك فإنَّ فاطمة لم تكن تشعر بالراحة ، فإن شيءٌ ما يقلقها ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان قلقها يزيد لأنها تريد أن تحين الفرصة لتطلب من أخيها ما تريد.

وحانت الفرصة عندما نادى "علي" ابن اخيها على أمه صابحة.

- أنا عندي طلب

قالت فاطمة باقتضاب.

- خير؟

سألتها أمها باهتمام.

- والله أصل الحاج الله يرحمه كان مهتم ببيت خالتي وأنا شايفة إننا لازم نعمل زيه؟

- يعني إيه؟

سأل عبد القوي.

- يعني لازم يكون فيه شهرية تساعد خالتي طول ما أنا هناك.

- وإنتي ناوية تفضلي هناك قد إيه؟

- ما إنتي عارفة أنا لسة قدامي سنتين تلاتة لغاية ما أخلص الماجيستير.

- بس أنا مش موافق أصلًا إنك تقعدي معاها.

- يعني إيه؟

- يعني إبن خالتك دلوقتي شاب ، أنا شوفته في العزا ، كبر ومايجوزش تقعدي معاه في بيت واحد، أنا ما أقبلش بكده.

- خلاص أنا ممكن آخد أم بدوي ونأجر أو نشتري شقة صغيرة ، حتى يبقي لنا كلنا مكان في أسيوط ، بكرة الولاد كمان يروحوا الجامعة ومهم يكون لنا شقة.

- بس أنا مش عامل حسابي ومفيش عندي فلوس.

- خلاص هاخد من فلوسي أنا.

- فلوس إيه؟

سألت الأم بهدوء.

- أقصد يعني ... يعني فلوسي.

- هو إنتي معاكي فلوس؟

سألتها ثانية.

- يعني من نصيبي في الفلوس اللي سابها الحاج ، أنا مش محتاجة حاجة تانية دلوقتي.

- آه

زمجر عبد القوي

- هو ده اللي إنتي تقصديه ، لازم تعرفي إن الحاج شديد مسابش فلوس.
- يعني إيه؟
- يعني الفلوس اللي موجودة يادوب على القد.
- مش فاهمة.
- أفهمك ، أبوكي ساب لك مبلغ معايا ووصاني إنِّه لجهازك غير كده ملكيش حاجة.
- يعني لو أنا احتجت حاجة ، أعمل إيه؟

سألت بانزعاج وخوف.

- أخوكي موجود.

رددت الأم بحسم:

- يعني إيه!؟
- يعني لو عايزة حاجة هو مسؤول عنك.
- طبعاً

رد عبد القوي

- بس أنا ما أقدرش أشتري شقة. إلا لو بعت الأرض وأنا مش ممكن أعمل كده.
- أرض إيه اللي تبيعها ، وفين باقي الفلوس؟
- قولت لك مفيش فلوس، خزنة الحاج كانت فاضية ، أصله كان بيصرف كتير.
- خلاص يبقي أنا أبيع حته من نصيبي أنا.

- نصيبك في إيه؟

سألها.

- في الأرض.

- إنتي ملكيش نصيب في الأرض.

قال بحسم.

- إزاي ؟؟

صاحت فاطمة باندهاش.

- الحاج كتب الأرض كلها لأخوكي

قالت الأم بحزم واضح

- إحنا ما عندناش بنات تورث أرض.

- مش ممكن. أبويا لا يمكن يعمل كده.

- يعني إحنا بنكذب

صاح عبد القوي

- عيب اتحشمي في كلامك.

- إنتي عايزه الأرض تروح لراجل غريب ولا إيه

قالت أم عبد القوي

- أرض ولاد وهدان لا يمكن تطلع بره.

كانت الصدمة شديدة الوقع على فاطمة؛ فطالما خطر ببالها أنَّ شيئًاً مثل ذلك قد يحدث ، لكنها كانت دائمًاً ما تطرد هذه الهواجس وتحاول ألَّا تفكر فيها. ربَّما كانت تخاف

مواجهتها ، وربَّما كانت شديدة الثقة أنَّ والدها لن يخذلها. ولكنها ها هي مضطرة إلى مواجهة الحقيقة.

- يعني أنا أعمل إيه؟

سألت في حيرة.

- ولا حاجة ، ماتخافيش

ردت أمها

- أخوكي موجود والحاج وصاه عليك وهو مسؤول عنك ، ووعده أنَّه هيخلي باله منك.

لم ترد فاطمة، بل لم تجد الكلمات التي تعبر بها عمَّا يجول في خاطرها، فها هي تكتشف فجأة أنَّها ليس لها سند وأنَّها يجب أن تعتمدَ على أخيها وأنَّه المتحكمُ الوحيد في كلِّ شيءٍ ، شعرت بالدماء تغلي في عروقها. لكنها لم تدرِ ماذا تفعل، يجب أن تسيطر على نفسها تمامًا، يجب أن تفكر وتتدبر الأمر جيدًا. لابد أنَّ هناك حلًا.

وفي غرفتها جلست فاطمة تفكر، ما هذا الذي حدث؟ وكيف يفعل أبوها ذلك؟ هل هذا هو نفس الأب الحنون؟ نفس الأب الذي طالما شملها بعطفِهِ وحنانِهِ وحمايتِهِ؟ نفس الأب المنفتح الذي سمح لها أن تقوم بعمل رسالة الماجيستير؟ الأب الذي كانت صديقاتها تحسدنها عليه؟ أليس هو من كان دائم القول إن "البنت زي الولد" ؟ وإنها ستحقق أمله الذي لم يحققه أخوها؟.

تذكرته وهو يحنو عليها في صغرها، ويأخذها في أحضانه، ويجلسها على ركبتيه، تذكرته وهو يعنف أخاها عندما حاولَ أن يضربها وهما بعد صغار، سمعت صوته يعنف أمها وهي تتدخل بينهما عندما شبَّ عودهما. كانت أمَّها تنصرُ أخاها لأنه الرجل. لكن أبوها كان واضحًا وصارمًا، كان يحافظ على ابنته وعلى كرامتها وعلى مشاعرها، لم يسمح لأحد أبدًا أن يؤذيها أو يهينها أو يتحكم فيها، فكيف يفعل ذلك؟ كيف يضعها تحت رحمة الجميع؟ كيف يتركها في مهب الرياح. كيف ....؟ وكيف ...؟ وكيف ...؟

- ما تظلميش أبوكي.

جاءها صوت أم بدوي وكأنها تقرأ أفكارها.

- أم بدوي!!

- أيوه يا بنتي. إدعي لأبوكي وأوعي تظلميه.

- بس هو ظلمني.

ردت ببِأَسً شديدٍ.

- لأ يا بنتي ، الدنيا والناس هي اللي ظلمته وظلمتك معاه.

- إزاي! إزاي! هو اللي عمل كده. كان يقدر يحميني.

- لأ يا بنتي لأ والله ما كان يقدر.

- الحاج شديد بحاله ما كانش يقدر،إزاي؟ فهميني.

- ياما حاولت أفهمك.

- يعني إنتي كنتي عارفة؟

- أيوة كنت عارفة من زمان.

أكدت أم بدوي بحزن.

- إزاي؟.

- يا بنتي ده سلو بلدنا. وده عُرفنا ومحدش يقدر يغيره أو يهرب من المكتوب.

- يعني إيه؟

- يعني أنا قدامك أهو مثل على كده.

- إزاي؟ مش فاهمة.

- يإبنتي ياما حكيت لك إن أبويا كان عنده بيت وأرض. صحيح صغيرة بس كانت تغنيني. لكن أخويا خد كل حاجه وآدي النتيجة لما جوزي مات اتحاوجت أنا وبدوي.

- صحيح إنتي حكيتيلي وأنا صغيرة.

- كان نفسي تفهمي.

قالت بحسرة.

- .....

- خلاص أنا مش مهم دلوقت

تنهدت أم بدوي

- المهم إنتي يا بنتي.

- أعمل إيه ؟ أعمل إيه؟

- الأول لازم تعرفي إن أبوكي حاول يحميكي بس الريح كان عالي.

- يعني إيه؟ وبعدين إنتي ازاي عرفتي؟؟.

- مش مهم إزاي ، بس أنا عارفة إنَّه حاول، ولغاية آخر نَفَس كان بيوصي أخوكي عليكي ، وكان واثق فيه ، وأمك الحاجَّة كانت عارفة وقالت له ما تخافش على ابني ، إبني يعرف الأصول.

- بس هي عارفة أنَّه ظالم ، وهيظلمني زي ما ظلم مراته صابحة.

- مافيش أم بتشوف ابنها ظالم.

- يعني هي كانت موافقة إنَّه يكتب له الأرض.

- سِلوِنا يا بنتي ، وابنها مش أقل من أي حد.

- طب والنقدية.
- أخوكي كان معاه مفتاح الخزنة.
- قصدك إيه؟
- قصدي زي ما يكون، أهو ده اللي حصل ، المهم اللي جاي.
- اتكلمي على طول يا أم بدوي ، أنا مش ناقصة.
- لازم تفكري كويس ، وتعرفي هتعملي إيه بالضبط ، ولازم تفهمي إن شهادتك أهم حاجة ، من غيرها اديكي شايفة أنا بقيت فين.
- انتي بقيتي أمي يا أم بدوي. ودي أحسن حاجة في الدنيا.
- كتر خيرك يا بنتي ، ما هو علشان أنا أمك لازم تسمعي الكلام.
- مش عارفه أعمل إيه؟.
- تستحملي شوية وتفضلي عند خالتك ، وتطالبي بحقك، تاخدي مصاريفك من أخوكي من غير خناق ، لغاية ما ربنا يفرجها.
- يعني أشحت حقي؟
- ماحدش بيشحت حقه ، بس لازم شوية عقل.
- زعلانة من أبويا.
- ما تزعليش منه ، هو عمل اللي عليه وأكتر ، وأخوكي وعده ، بس كل واحد وأصله.
- ربنا يستر ، هو عمومًا اداني فلوس تكفي الإسبوع ده.
- سافري ربنا يحلها الإسبوع الجاي.

وبالفعل سافرت فاطمة ، لكن سفرها هذه المرة كان مختلفًا؛ فهي تشعر أنَّها محملة بأعباء ثقيلة جدًا ، وفي حلقها غصة لا تستطيع تجاهلها ، وفي قلبها حزن وانكسار شديدان ، وفي رأسها قلق وتوجس من المستقبل ، والحيرة تتملكها.

وفي أسيوط بدأت لأول مرة تعرف معنى الاقتصاد والتفك،ير قبل أن تقرر عمل أو شراء أي شيء ، وقررت أن تركز في مذاكرتها وأخبرت خالتها أنَّها ستتناول وجباتها في الجامعة لضيقِ الوقت، ورحبت خالتها بذلك ، فكانت فاطمة تتناول إفطارها عند "عم عزيز" فرَّاش القسم في الكلية ، ثم تشتري ساندوتشات الفول والطعمية في نهاية اليوم ، وفي المنزل كانت لا تغادر حجرتها وتحاول استذكار دورسها بتركيز ، وفي نهاية الإسبوع لم تجد في نفسها رغبة في الرجوع إلى بيت العائلة رغم ما تعلم أنَّها ستجده هناك من راحة ، بل ورفاهية، وخدم، وموائد عمرانة ، فأخبرت أمَّها أنَّها يجب أن تحضربعض المحاضرات في الأجازة الإسبوعية ووافقت الأم على مضض لكنها شددت على وجوب عودتها في الإسبوع التالي.

وسرعان ما جاءت الأجازة التالية وقد كانت أجازة طويلة ، فقد كانت يوم الأحد أجازة رأس السنة الهجرية ، وعندما جلست فاطمة إلي المائدة مع باقي العائلة وجدت نفسها لأول مرة تنظر إلي الأصناف المتنوعة بنظرة مختلفة ، هالها هذا التنوع الرهيب من البط والأرانب والمحاشي والرقاق وغيره احتفالًا بالموسم. لأول مرة تتذكر أنَّ هناك من لا يجدون كل ذلك. ورغم حرمانها من كل هذه الأصناف في الفترة الماضية إلَّا أنَّها لم تجد في نفسها رغبة للأكل.

- مالك يا بنتي مش بتاكلي ليه؟

سألت أمها.

- أبدًا.

- أبداً إيه؟ ده إنتي خسيتي واتعدمتي ، هي خالتك بطلت تطبخ ولا إيه؟

- أبدًا بس أنا مش فاضية.

- خدي دوقي البط ده ، أم بدوي عملتهولك مخصوص.

قالت أمها وهي تضع البط في طبقها بحنان واضح ، لكن فاطمة لا تشعر بالرغبة في الأكل ، فامتدت يدها إلي البط ببطء كي تحاول ألَّا تُشعِرَ أحدًا بما يجول بخاطرها.

- أنا عايزك في موضوع مهم بعد الأكل.

أعلن عبد القوي.

- حاضر!!

وبعد الأكل أصدر عبد القوي أوامره للجميع بالانسحاب ، فهو يريد أمه وأخته فقط في المندرة ليتحدث معهم وهم يحتسون الشاي

- خير ؟

سألت فاطمة بقلق واضح.

- إن شاء الله خير طبعًا.

رددت أمها.

- عندي ليكي عريس.

أعلن عبد القوي.

- عريس!!

صاحت فاطمة باستغراب.

- عريس لُقطة.

قالت الأم.

- بس أنا مش عايزه أتجوز دلوقتي.

- يعني إيه؟

سأل عبد القوي بضيق واضح.

- يعني عايزة أخلص دراستي الأول.

- دراستك خلصت خلاص.

أعلن بحسم.

- لأ لسة.

- مافيش لسة.

نصحت أمها.

- بس أنا عايزة أخلص شهادتي.

- مافيش شهادة ، أنا أديت كلمة للحاج علوان.

- الحاج علوان مين؟

سألت فاطمة باستغراب.

- الحاج علوان جارنا.

- بس ده ولاده صغيرين.

- هو اللي عايزك.

قال عبد القوي.

- عايزني إزاي يعني ؟

- عايز يتجوزك.

قالت الأم بفخر.

- بس ده متجوز وعنده ولاد.

- وإيه يعني؟

صاح عبد القوي.

- يعني يتجوزني على مراته.

- شرع الله

صاح بغضب

- ولا هنحرمه.

- وبعدين ده رجل غني ومقتدر.

- بس ده أكبر مني.

- ما يعيبش الراجل غير جيبه.

قالت أم عبد القوي.

- وأنا خلاص اديته كلمة.

- ومين سمح لك تديله كلمة ،هو أنتم عايزين تخلصوا مني وخلاص؟

- اكتمي خالص.

صاح عبد القوي غاضبًا وتوجه إليها مهددًا ، لكن أمه اعترضته وصاحت في أخته.

- اطلعي فوق دلوقتي ،امشي من هنا.

ولم تجد فاطمة حلًا سوى أن تصعد إلي غرفتها صاغرة ، وفي الغرفة وجدت أم بدوي في انتظارها كالمعتاد.

- كنتي عارفة؟

- أيوة.

- وليه ما قولتليش.

- أنا ما أقدرش أنقل كلام ، أنا بس ممكن أنصحك.

- أعمل إيه؟

- روحي للحاج همام.

- همام مين؟

سألت باستغراب.

- ابن عم أمك وكبير الدهاشنة.

- أروح له ليه؟

- كان صاحب أبوكي ، وكان طول عمرة رجل صالح وبيعرف ربنا وهو الوحيد اللي ممكن يأثر على أخوكي.

- ما عنديش ثقه في حد خالص ، كلهم ظلمة.

- الحاج همام عارف كلام الله كويس.

- كلنا عارفينه كويس بس محدش بيطبقه.

- بس هو بيطبقه.

- إزاي يعني؟

- الحاج همام هو الوحيد اللي رفض ينفذ وصية أبوه بعد وفاته ، أبوه كان حارم أخواته البنات من الميراث ، لكن هو وزَّع الأرض عليهم بحق الله علشان ربنا يرحم أبوه وينام مرتاح في تربته.

- فعلاً! هو فيه حد كده؟

- أيوه فيه ، روحيله يمكن يقدر يساعدك.

- أروح له امتى؟

- خليكي في أوضتك لغاية الصبح ، بلاش تتكلمي مع حد منهم ، وبعد صلاة الفجر تكوني عنده ، أخوكي بيصحى على الظهر ، وأمك بتكون لسة في أوضتها.

- حاضر.

ردت فاطمة وهي ترى بصيصًا من الأمل يلوح في الأفق المظلم.

وفي الثامنة صباحًا كانت فاطمة تطرق باب دار الحاج همام. عندما أخبرت الخادمة من هي ، ذهبت المرأة مسرعة تنادي الحاج وكأنها تستشف شيئًا خطيرًا ، ولمَّا دخل الحاج همام استبشرت فاطمة ، فهي لم تكن قد رأته منذ عدة سنوات ، كان الرجل ذا وجه منير، هادئ، تبدو عليه السماحة ، وقد تهللت أساريره عندما رأى فاطمة.

- مرحب, مرحب ، بنت العزيز الغالي ،أهلًا بيكي يا بنتي.

- أهلًا يا حاج.

- قوليلي عمي ، بلاش حاج دي.

- إزيك يا عمي.

قالت فاطمة وهي تنثني لتقبل يده.

- فكرتيني بأبوكي يا بنتي.

قال الرجل بحنِّية وهو يربت على ظهرها.

ولم تتمالك فاطمة نفسها فانهمرت الدموع من عينيها فقد ذكرتها لمسة يده بحنان أبيها.

- مالك يا بنتي؟ مالك؟ خير؟

وبدون أي مقدمات وجدت فاطمة نفسها ترتمي في أحضان الشيخ وتقص عليه ما حدث بدون رتوش ، حكت له كل شيء, آمالها وطموحاتها ومجهوداتها ، حكت له عن فقدانها لوالدها ولحنانه وحنيته ،حكت له كيف شعرت بأن ظهرها انكسر ، كيف حاول أن يحل

أخوها محل والدها، كيف صُدِمت في الجميع, وعلى رأسهم الأب القوي الحنون الذي خذلها وتركها لقمة صائغة في يد الجميع. حكت وحكت وحكت ولم تسكت إلا حين أفرغت كلَّ ما في داخلها.

- اهدي يا بنتي! اهدي.

قال الرجل بحنية الأب.

- أنا مش لاقية حد يساعدني.

- ربنا موجود.

- أعمل إيه؟ قولي؟

- العمل عمل ربنا.

- .....

- ارجعي بيتك يا بنتي وخليكي هناك ، أنا هكون عندكم بعد صلاة الظهر إن شاء الله.

وفي تمام الواحدة كان الغفير يخبر عبد القوي أنَّ الحاج همام في انتظاره في غرفة المسافرين.

- أهلًا أهلًا بالحاج – ردَّ عبد القوي- مرحباً.

- أهلًا بك يا ولدي.

- لك وحشه يا حاج.

- وأنتم كمان يا بني ، أبوك كان سيد الرجال.

- الله يخليك ، كان لازم أنا آجي لحد عندك في الدار بنفسي.

- واحد يا ولدي واحد ، أنا ليا عندك طلب.

- تأمرني يا حاج. خير؟.

- أختك فاطمة

(لم يزد الحاج همام على ذلك ونظر إلي عيني عبد القوي وهو يعلم أنه فهم ما يريد قوله).

- مالها فاطمة يا حاج؟

سأل باستغراب

- أنتَ عارف مالها ياولدي.

- هي اشتكت لك؟

- مش مهم مين اشتكالي, المهم يا بني شرع الله لازم يتطبق ،اوعى تتخطى حدود الله يا بني اوعى.

قال الرجل محذرًا برفق.

- أنا لا يمكن أتخطى حدود ربنا ، أبويا هو اللي....

- مش عايز أعرف

قاطعه الحاج همام مشيراً بيده

- أنت إبن الحاج ومحدش هيخاف عليه زيك.

- أنت عاوزني أعمل زيك ، عاوزني أعصي أبويا وأكسَّر كلامه.

- تعصي أبوك أحسن ما تعصي ربنا ، أبوك بين ايدين ربنا وإذا كان غِلِط لازم أنت تصلح الغلط ده وتدعيله بالرحمة.

- وإزاي يا حاج تقول أنَّ الحاج شديد غلط؟ هو ده العشم برضك.

- كلنا بشر يا بني، البشر خطاؤون ، وإذا مات ابن آدم انقطعت كل صلة له بالدنيا إلا من ولدٍ صالح يدعوله، وأنا عارف أنَّك صالح إن شاء الله

- خاطرك كبير يا حاج ومجيتك عزيزة ، إيه المطلوب بالظبط؟

- ترجع حق أختك وترجع عن الجوازة اللي في دماغك دي. الشرع لا يُجيز الزواج بدون موافقتها.

- ربنا يسهل يا حاج ، بس أنا أديت كلمة.

- ربنا أهم يا بني.

- طيب أنا موافق ، بلاها الجوازة دي ، بس أنا مش هقدر أعمل حاجة في موضوع الأرض.

- فكَّر يابني وربنا ينور بصيرتك ولا تكن من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

- ربنا يسهل يا حاج.

- بالإذن بقي يا بني؛ أنا مش متعود أخرج كثير دلوقتي. كبرت خلاص.

- مع السلامة يا حاج نورتنا.

وصله عبد القوي حتى باب الدار ، ورجع إلى حجرة المكتب وجلس فيها وحيدًا وبعد حوالي ساعتين ،استدعي أخته فاطمة.

- اقعدي.

اشار لها بيده إلي الكرسي الموجود أمام مكتبه وهو متضجع على كرسي المكتب الوثير.

- انتي روحتي للحاج همام.

- .....

- عموماً أنا مش عايز رد ، الحاج محبته كبيرة قوي ، وعلشان خاطره أنا مش هتمم الجوازة ، لكن أكتر من كده مش هأقدر ، واعرفي إنَّ أول عريس هيجي هتكوني من نصيبه.

- وبالنسبة للدراسة؟

- مافيش دراسة ، هي كلمة واحدة ، وعشان الحاج أنا هانسي كل حاجه وأزود شهريتك ، وأوعي تطمعي في أكتر من كده.

قال بحسم تام.

- كتر خيرك يا أخويا.

كان كل ما استطاعت التفوه به.

- تسمحلي أروح أجيب حاجتي من عند خالتي واسحب أوراقي من الكلية.

- طيب تروحي بكرة في الفجر وتكوني هنا قبل الليل. وممكن أبعت محمود معاك.

- عيب أروح هناك ومعايا غفير ، هو أنت مش واثق فيا؟

- معاكي حق ، بس أوعي يقولك عقلك تروحي تاني للحاج همام ولا غيره.

- حاضر يا أخويا.

أنهت فاطمة المقابلة وصعدت إلي غرفتها وقد عرفت جيداً ما الذي يجب أن تفعله واتخذت قرارها ، وفي غرفتها لم تجد أم بدوي في انتظارها كالمعتاد ، وكانت قد لمحت خيال إمرأة يتحرك مسرعًا عندما فتحت باب غرفة مكتب أخيها ، فأدركت أنَّها غالبًا أم بدوي ، وما هي إلا دقائق ووجدتها تطرق باب الغرفة وتدخل. وعلى عكس المتوقع لم تتكلم أم بدوي ولم تسألها عمَّا حدث ، وإنَّما نظرت إليها بِتحدٍ وكأنَّها تريد أن تسألها هل مازلت قوية؟ هل تدركين ما يجب أن تفعلينه؟

- أجهز لك الشنطة؟

سألت وكأنه أمر أكثر منه سؤال.

- أيوة لو سمحت.

- هتقعدي قد إيه المرة دي؟

- مش عارفة.

- ربنا هيقويكي.

تمتمت أم بدوي وراحت تجهِّز الحقيبة.

****

وفي اليوم الثاني ، كان أول ما فعلته فاطمة بعد أن وصلت هو الذهاب إلي الكلية والبدأ في سحب أورقها من جامعة أسيوط ، وفي آخر اليوم أرسلت رسالة إلي أخيها تخبره أنها مضطرة إلي البقاء حتى آخر الإسبوع وتتمكن من إستلام أورقها ولَمَّأشيائِها من عند خالتها.

وجاءها رد عبد القوي برسالة مقتضبة.

- ابعت لك محمود"؟

- شكراً ، لو احتاجته هقولك.

وكانت هذه هي آخر محاولة للاتصال بينها وبين أخيها ،؟ فقد استلمت أوراقها في اليوم التالي ، وأخذت حقيبتها وركبت القطار في طريقها إلى القاهرة ، وكان أول ما فعلته في القطار هو تغيير شريحة الموبايل ووضع الخط الجديد الذي اشترته لنفسها بدلًا من القديم كي لا يتمكن أحد من الوصول إليها في مدينة الزحام.

وعندما وصلت إلى القاهرة ونزلت من القطار في محطة رمسيس شعرت أنَّها فعلًا في العاصمة ،فالقاهرة مدينة الزحام، والضوضاء واللهاث، هي فعلاً مدينة بلا قلب ، فمنذ وطأت أقدامها رصيف المحطة وجدت نفسها تجري وتُلهث مع القطيع. فالجميع يتزاحمون ويجرون ويلهثون ، ولا أحد يدري من مع من وإلى أي جهة تحديدًاً يتجه المتدافعون ، وعندما تمكّنتأخيراً من ركوبِ سيارة تاكسي ، كان أول ما فعلته هو أن أعطت السائق العنوان الذي أعطته لها أم بدوي. كانت أم بدوي قد دست في يدها ورقة صغيرة في آخر لحظة قائلة.

- ده عنوان سعدية بنت خالتي ، يمكن تحتاجيه.

وبالفعل كان هذا العنوان يمثل لفاطمة طوق النجاة ، فهي لا تعرف أحدًا في القاهره الكبيرة, ولم يكن لها وجهة محددة ، فقررت الذهاب إلى العنوان الوحيد الذي تعرفه.

وهناك وجدت نفسها في حارة صغيرة في السيدة زينب ، وبدأت في السؤال عن بيت الحاجَّة سعدية إلى أن وجدته أخيرًا ، ولكنها لم تشعر بالارتياح وهي تصعد السلم الضيق في المنزل الصغير القديم ، فهي لا تعرف الحاجَّة سعدية ولا تدري ما الذي يجب أن تتوقعه منها ، ومإن رفعت يدها لتطرقَ الباب حتي أنزلتها ثانية وجلست القرفصاء على السلم تلتقط أنفاسها وتفكر فيما يجب عمله.

لكنها فوجئت بالباب يُفتَح وبسيدةٍ في مثل عمرِ أم بدوي تفتح الباب وبيدها كيس قمامة تود أن تضعه بجانب الباب ، وما إن رأتها هذه السيده حتي ابتسمت بأسً.

- انتي لازم فاطمة ، قاعده كده ليه يا بنتي؟

عقدت المفاجأة لسان فاطمة فلم ترد.

- تعالي يا بنتي ، ادخلي ، أنا كنت عارفة إنك جايه.

ولم تصدق فاطمة ولم تشعر بنفسها وهي تقوم من مكانها وتدخل إلى الشقة المتواضعة ، وهي تستمع إلى كلمات الحفاوة والترحاب من هذه المرأة التي لا تعرفها.

- إنتي عرفتي منين؟

كان أول ما تمكنت من قوله.

- أم بدوي كلمتني وقالتلي على كل حاجة ، وأنا الي قولت لها تديكي عنواني يمكن تحتاجيه.

- كتر خيرك.

- ما ييجي من بعد خيرك يا غالية يا بنت الغالي. أبوكي الحاج شديد خيره عليا, وجميله طوق في رقبتي مهما عملت, مش ممكن أردهوله.

- أبويا أنا ...؟

- أيوه أبوكي.

- تعرفيه منين؟

- دي حكاية طويلة قوي مش وقتها ، أبوكي الحاج كان رجل طيب.

- أمال ليه سابني؟

- أوعي تظلميه يا بنتي أوعي تظلميه ، ما يقدر على القدرة إلا ربنا ، المهم دلوقتي تعرفي إنك في بيتك ومطرحك وتفكري على مهلك إنتي عايزه إيه وعايزه تعملي إيه بالضبط ؟

- أنا عايزة أنام.

كان كل ما تمكنت فاطمة من قوله.

- تعالي يا ضنايا ، تعالي يا بنتي. اطمني أنا لوحدي هنا. بنتي زهرة الحمد الله اتجوزت وراحت بيتها ، هو هنا في آخر الشارع ، ودي نعمة من ربنا ،ادخلي نامي في أوضتها ، وإن شاء الله لما تصحي يحلها حلال ، تبات نار تصبح رماد ، اطمني.

وبالفعل شعرت فاطمة بالاطمئنان الذي كان قد فارقها لمدة. وشعرت بروح والدها ترفرف حولها وبيده تربت على كتفها وتشجعها.

واستمرت فاطمة على نفس الحال لمدة يومين كاملين ، فهي لا تفعل أي شيء سوى النوم, وكأنَّه هروب, وتناول القليل من الطعام ممَّا تعده لها الحاجَّة سعدية وتحاول أن تقدمه لها ، وفي اليوم الثالث أخبرتها الحاجة أن ابنتها زهرة سوف تأتي لتناول الغذاء معهما والتعرف عليها وبدأت الحاجَّة في تجهيز الغداء مبكرًا.

- أصل زهرة بتروح الشغل الساعه 6.

- أساعدك في إيه؟

سألت فاطمة.

- والله أبدًا ، ده أنا أخدمك بعنيا ،اقعدي استريحي.

وعندما وصلت زهرة وجدتها فاطمة عروسة في بداية العشرينات، قد تصغرها بقليل ، وهي فتاة مرحة ولطيفة يبدو عليها الطيبة والذكاء في آن واحد ، ولم تقل زهرة عن أمها ترحيباً بفاطمة ومحاولةً التخفيف عنها ، وبعد الغداء أعلنت بوضوح...

- بصي بقي أنا بأشتغل في كافتيريا في فندق 5 نجوم ولازم أكون هناك الساعه 6 ، وجوزي كمان بيشتغل هناك ووورديته من الساعه 8 ، بكرة أجازة هاكون عندك الساعة 6 بدل الوردية علشان نتكلم ونفكر سوا هتعملي إيه بالضبط.

وقد كان, وتواجدت زهرة في تمام السادسة في اليوم الثاني. كانت مرحة كما هي ولكنها بدأت تتحدث بجديَّةٍ وحسمٍ.

- بكرة إن شاء الله تقدمي أوراقك في جامعة القاهرة, لسة في وقت الحمدلله ، وتبدأي تحضري على طول.

- إن شاء الله.

أجابت فاطمة وهي معجبة بهذا الحماس والحسم.

- أنا سألت وعرفت إن باب التقديم لسه مفتوح.

- الحمد لله ، بس أنا عايزة أدور على شغل وعلى سكن.

أعلنت فاطمة وقد هالها صعوبة ما تقوله.

- سكن

صاحت الحاجة سعدية باستنكار!! وهي تخبط على صدرها

- يا عيب الشوم ، إنتي بتشتميني يا بنتي.

- العفو يا حاجة ، ليه بتقولي كده؟

- إحنا نعرف الأصول يا بنتي. إنتي هتقعدي معايا ولا علشان بتنا مش قد المقام؟!

- ما تقوليش كده يا حاجة ، بس كمان مش معقول أقعد معاكي وأنا مش عارفة الموضوع هيطول قد إيه؟

- ومش معقول ليه؟

ردت زهرة

- على الأقل تونسيها وأكون مطمنة عليها بدل القلق اللي أنا فيه على طول.

- يا بنتي ده أنا مهما عملت مش ممكن أرد جزء من جميل الحاج شديد.

- كتر خيرك يا حاجَّة.

قالت فاطمة بارتياح.

- خلاص اتفقنا.

ردت زهرة.

- طب والشغل؟

- يعني لازم؟

سألت الحاجة.

- أنا معاها في ده يا أمي ، لازم تعتمد على نفسها.

- وأنا روحت فين؟

- معلش يا حاجة ، أنا كده هكون مرتاحة.

- سيبيها يا أمي ، لازم تكون على راحتها.

- اللي تشوفوه.

- طيب ، أنا هسألك عندنا في الفندق ، بس بعد ما تتأكدي إن محاضراتك بعد الظهر.

- أكيد بتكون بعد الظهر ومش بتكون كل يوم.

- طب الحمد لله ، ربنا سواها من عنده ، أنا عايزاكي تطمني يا بنتي ، ده بيتك ومطرحك.

وعندما ذهبت زهرة التفتت فاطمة إلي الحاجَّة سعدية وسألتها.

- إنتي تعرفي أبويا منين؟ أنا عايزه أعرف.

- دي حكاية طويلة وقديمة.

- عايزه أعرفها!!.

- حاضر يا بنتي ، جوزي عبد السلام كان أصلًابيشتغل عند الحاج في الأرض وكان من رجالته، والحاج كان بيعتمد عليه في حاجات كتير ، بس ربنا افتكره بدري ، وزهرة كان كل عمرها أربع سنين.

تنهدت الحاجة سعدية وسكتت قليلاً وهي تتذكر ما حدث وكأنها تعيشه ثانية.

- الصدمة كانت كبيرة عليا ، وماكنتش عارفة أعمل إيه ، لكن الحاج وقف جنبي وساعدني ، المصيبة بقى كانت بعد الأربعين ، أهل جوزي يعني أمه وأخواته كانوا أخدوا كل حاجة ، هو ما كانش عنده غير كام فدان، والبيت اللي كنا فيه ، أخدوهم وقالوا إنَّ هو ماعندهوش ولد ، وكانوا عايزين كمان ياخدوا زهرة.

- ياخذوها ليه؟؟

- علشان تتربي في عيلة أبوها ، وطبعاً عشان يضمنوا إن أنا مش هاطلب منهم حاجة ولا أطالب بحقها ، رحت لأبوكي ، ووقف معايا وساعدني كثير ، بس هم ركبوا دماغهم وقالوا إن هي دي الأصول.

- وأبويا معرفش يعمل حاجة؟ الحاج شديد كبير البلد, ما عرفش يعمل حاجة؟

- سلو بلدنا ، مكانش يقدر يوقف في وش الريح.

- بس ده ظلم ، سلو بلدنا ظالم ، ظلمني وظلمك وظلم أم بدوي وظلم ناس كتير.

- وظلم حريم كثير أوي يا بنتي ، بس هو ده اللي بيحصل.

تنهدت الحاجة سعدية بحزن شديد.

- وبعدين؟

- وبعدين ما كانش في قدامي غير مصر أم الدنيا, جيت وأخدت بنتي معايا.

- يعني هربتي إنتي كمان؟!

- أيوه هربت ، كنت عايزاني أعمل إيه؟ والحاج شديد وصلي عن طريق أم بدوي وفضل يساعدني ومااحتاجتش حتى إني أشتغل غير لمَّا زهرة راحت المدرسة. اشتري لي ماكينة خياطة واشتغلت عليها ، وفضل يساعدني برضوا ، وهو اللي جهز زهرة وكان بيتابعني وأنا بتنقل من مكان لمكان علشان كنت خايفة يلاقوني.

- أبويا عمل كده!؟

سألت فاطمة باستغراب ممزوج بفخر.

- أبوك كان رجل طيب قوي.

- أمال ليه ظلمني؟ ليه؟ إزاي يقف جنب الكل ويسيب بنته؟

- أوعي تظلميه. أم بدوي قالتلي على كل حاجة, هو ماكنش يقدر يعمل غير كده ، ما قلت لك سلو بلدنا.

- ربنا يرحمه، بس كان ممكن يعمل حسابي.

- هو برده كان طمعان إن ابنه ينفذ وصيته ، أبوكي مات وهو خايف عليك يا بنتي.

- ربنا يرحمه.

- انسي يا بنتي ،انسي اللي فاتوفكري في اللي جاي وتأكدي إن أبوكي عمله الطيب هيقف لك.

وعندما دخلت فاطمة حجرتها لتنام لم يجد النوم إليها طريقًا كانت رأسها مليئة بالأفكار المضطربةوالهواجس ، لم تستطع أن تتصالح مع نفسها بسهولة ، لم تستطع أن تجد بداخلها سماحة كافية تمكنها من تقبُّلٍ ما تقبلته هذه السيدة وغيرها بسهولة ، بل الأسوأ من ذلك أنها لم تتمكن من الصفح عن والدها بسهولة؛ ربَّما كان العيب منها, ربما هي ضعيفة أو قليلة الإيمان, ربما هي ظالمة أو جاحدة, ربما لا تستطيع تقبل القدر، لكنها تشعر بالظلم.

وعندما طلع النهار ،استيقظت فاطمة وقد قررت أن تتبع نصيحة الحاجة سعدية ، تلك المرأة البسيطه الجميلة والقوية في آنٍ واحد ، فهل تكون هذه السيدة أكثر قوة منها؟ يجب أن تتعلم فاطمة منها ، يجب أن تكون قوية وتحقق هدفها وتثبت للجميع أنَّها يمكنها التغلب على الظلم, يمكنها أن تحقق ذاتها. ولذا فسوف تسمع كلام الحاجة سعدية ، سوف تنظم وقتها بين العمل في الفندق وبين الجامعة ، وبعد أن تحصل على الماجستير ستقدم على الدكتوراة ولن تعود إلي قريتها إلا وهي الدكتورة فاطمة ، وسوف تثبت للجميع أنَّها أقوى وأحسن من عبد القوي الذي أكل ميراثها ، وستحاول التصالح مع نفسها ، وقد تسامح والدها ، لكنها أبدًا لن تسامح أخاها.

وهكذا بدأت عجلة الحياة تدور بروتينها الجديد ، فانشغلت فاطمة بالعمل في كافتيريا الفندق في الصباح ، وبحضور محاضرات الجامعة بدأً من الرابعة مساءً ، وبعد ذلك لم يكن يشغلها سوى مذاكرتها استعداداً للامتحان ، واستمر الروتين اليومي ، وسعدت فاطمة بوجودها مع الحاجة سعدية وبصداقة زهرة ، ولم يكن يكدر صفوها شيء إلا بعض المضايقات القليلة من رواد الكافتيريا ، وفيما عدا ذلك فالحياة تسير ، حتىأنَّها بدأت تنسى أخاها وأمها وقريتها ،ولم تحاول الاتصال بأم بدوي أبدًا وإنَّما كانت تتواصل معها عن طريق الحاجة سعدية.

ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن؛ فقد بدأت فاطمة تشعر بالانزعاج من مضايقات الزبائن وخصوصاً الشباب منهم. وبالأخص السائحون العرب الذين كانوا لا يدارون إعجابهم بجمالها ، فكان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يشعرها بالإهانة ، فكيف تتعرض

بنت الحاج شديد لمثل هذه المضايقات؟ فقبل ذلك لم يكن أحد يجرؤ على النظر إليها. أما الآن ..... .

وبدأت تلاحظ أن أحد الزبائن يأتي يومياً إلى الكافتيريا ، وتبدو عليه علامات الثراء العربي الواضح ، مع الوقت لاحظت أنه يصر على أن يطلب منها بالذات ما يريد ويحاول التحدث إليها. وكالمعتاد لم يزده جفاؤها إلا إصراراً وعناداً ، وازدادت فاطمة ضيقًا وانزعاجًا.

- وآخرتها إيه؟

باغتتها زميلتها مريم بالسؤال.

- مش فاهمة!؟

- والله باين عليك مش فاهمة بجد.

- قصدك إيه؟

- قصدي الرجل اللي بيجي كل يوم علشانك ، يعني مش واخده بالك؟.

- لأ.

أعلنت فاطمة.

- والله إنتي أصلك عبيطة.

- والنبي يا مريم أنا جاية هنا علشان أشتغل وبس ، سيبيني في حالي.

- ما هو ده الشغل على أصوله.

ضحكت مريم.

- أنا مليش في الكلام ده.

- يا بنتي ما تبقيش صعيدية بجد ، الرجل معجب بيكي ومستعد لكل طلباتك.

- إنتي فاهمة غلط ، أنا قلت لك إن أنا مليش في الكلام ده. أنا بنت الحاج شديد إنتي فاهمه!!

- شيلاه يا حاج

صاحت مريم.

- عيب كده.

- عيب. ولمًا إنتي بنت ناس قوي كده إيه اللي رماكي علينا؟.

- خليكي في حالك.

صاحت فاطمة بحده.

وفي نفس اللحظه سمعت فاطمة صوت رجالي يهمس بحزم.

- كفايه كده ، الكلام ده ماينفعش.

وأدركت أنه صوت مدير الكافتيريا وقد جاء مؤنبًا بشدة.

- ده مش مكان خناق ، إحنا هنا علشان الشغل.

- أنا آسفة.

اعتذرت فاطمة.

- حاضر يا مستر.

رددت مريم.

- أنا عايزك بعد الشيفت

أومأ الرجل لفاطمة.

- حاضر.

وبعد انتهاء الوردية ذهبت فاطمة إلي مديرها وهي في شدة الانزعاج.

- كده ما ينفعش.

بدأ الرجل.

- بس أنا ما عملتش حاجه غير الشغل.

- أنا عارف.

نظرت إليه باندهاش.

- طب أمال إيه المشكلة.

- بصي ، أنا رجل قديم وعندي خبرة ، إنتي ما تنفعيش هنا وأنا مضطر أنقلك.

- بس أنا ما عملتش حاجة.

- عارف, بس يمكن تكوني محترمة زياده عن اللزوم, الشغل هنا هيجيب لك ولنا مشاكل.

- يعني إيه؟

- يعني هاقول إنك انتي طلبتي نقلك من هنا وخلاص.

- طب أروح فين؟

سألت منزعجة.

- مش عارف هاشوف فين مكان فاضي ، وإنشاء الله أقولك ، اسمعي الكلام إنتي مش هتعمري هنا.

وفي خلال 48 ساعة وجدت فاطمة نفسها وقد تم نقلها إلي قسم الـ "House Keeping" ، ووجدت نفسها مسؤولة عن أعمال تنظيف ما كانت لتقبل القيام بها ، ولكن ميعاد الامتحان اقترب وليس هناك أي وقت للبحث عن أي عمل آخر ، ونصحتها زهرة بأن تقبل لحين البحث عن عمل آخر.

ومع الوقت اعتادت فاطمة تلك الأعمال ، فبالرغم من عدم تقبلها لمثل هذا النوع من العمل إلا أنها وجدت فيه راحة, حيث أنَّها تعمل مع زميل لها مسؤول معها عن الدور وتحرص ألَّا تتعامل مع أي نزيل وألا تدخل أي غرفة إلَّا بعد التأكد من أنَّها خالية تمامًا ، وكانت دائمًا ما تؤكد لنفسها أنَّ هذه ليست النهاية ، فهي ترفض أن تتقبل هذا الواقع ، ترفض أن تتقبل أنَّابنة الحاج شديد قد انتهي بها المطاف إلى مثل هذه الأعمال الدُنيا ، لكنها أيضاً تعلم أنَّ الحاج سوف يكونُ فخورًا بها لأنها صعيدية وقوية مثله ، بل أقوى منه لأنها تتحدي الظروف كلها, وسوف تتغلب عليها ولن تستسلم لها مثل والدها رحمه الله.

ومرت الأيام وانتظمت الحياة وكانت كل الأيام تسير على نفس الوتيرة ، فيمر كل يوم ما بين الشغل والمذاكرة والتسامر مع الحاجَّة سعدية التي كشفت لفاطمة الكثير عن الوجه الطيب الخيِّر للحاج شديد كبير العائلة ، ووجدت فاطمة في الحاجة سعدية نعم الأم ، فقد غمرتها بحنان لم تعهده في أمها نفسها، ولمست فيها طيبة وتفهم لم تجدهما في الحاجة أم عبد القوي ، فهي سيدة رقيقة المشاعر, تفيض بالأحاسيس الجياشة ، تضفي بهجة ودفءٍ على من حولها ، كانت فاطمة تنظر إليها باندهاش وإعجاب في نفس الوقت ، فتستغرب كيف أمكن لمثل هذه السيدة أن ترتقي فوق كل ما مرت به من ظروفٍ سيئة؟ كيف يمكنها أن تتخطى الشعور بالظلم وتتعامل معه كأنَّه لم يكن؟ كيف يمكن لإنسان عانى وذاق مرارة الظلم والوحدة أن يكون بمثل هذه القدرة على العطاء؟

كانت فاطمة تنظر إليها وهي تتسائل ، هل يمكن أن تصبح مثلها يومًا ما؟ هل يمكن أن ترتقي بمشاعرها مثل هذه السيدة؟ هل يمكنها أن تنسى الظلم والقهر الذي تعرضت لهما؟ إنَّ أخشى ما تخشاه هو أنَّها لن تستطيع التغلب على ذلك ، إنَّ شعورها بالمرارة يزداد في كل مرة تدخل إلي إحدى غرف الفندق لتنظفها. ويتفاقم هذا الشعور كلَّما تذكرت أخاها ، فهو السبب فيما هي فيه، وليس هناك أي مبرر لديه سوى أنَّه هو الرجل أو "الذكر" ، وكل تصرفاته لا تمت إلى الرجولة بشيء، كل ماهنالك أنَّه ولد ذكر فدللته أمه وفضَّلته عليها وساندته في كل شيءٍ ، فتعظمت عنده الذات, وتضخم شعوره بذكورته وليس برجولته، فكان ما كان, فقد سمح لنفسه أن يكون الأول والمفضل في كل شيء، فتزوج مبكرًا وأنجب ، ثم تململ ورغب في التغيير فتزوج بأخرى ولم يراعي شعور زوجته الطيبة، فهو حقه وشرع الله كما عرفه ، وها هو الآن يجور على أخته ويأكل حقها ويحرمها من ميراث أبيها.

أباها هذا الرجل الطيب ، هذا الرجل القوي الضعيف ، العادل الظالم ، الحنون القاسي ، هذا المزيج الغريب المتفرد ، هذا الرجل الذي يحن على الغرباء ويقف إلى جانبهم ويساندهم ويعطف عليهم ، وفي نفس الوقت كان أضعف من أن يساند ابنته ويحميها ، لم يستطع أن يقف في وجه المجتمع الظالم والتقاليد البالية. بل لم يستطع حتى أن يقف في وجه زوجته. بل ربما كان هو نفسه بداخله يشعر بنفس الميول الذكورية ، برغم حبه لابنته، ربَّما كان في داخله يفتخر أنَّه أبو عبد القوي وليس أبا فاطمة، إنها حقاً لا تستطيع أن تفهم كل ذلك، لكن الأسوء وما يخيفها فعلاً هو عدم قدرتها على التسامح مع كل ذلك.

كانت هذه الأفكار كثيرًا ما تراود فاطمة ولا تستطيع التخلص منها بسهولة ، لكنها كانت تحاول أن تتناساها ، لا سيما وهي تذاكر، فقد اقترب موعد الامتحان ويجب عليها أن تركز فيه حتى تحقق هدفها وحلم عمرها الذي سيمكنها أن ترجع إلي بلدتها قوية منتصرة ومرفوعة الرأس.

وكانت الأيام تجري بسرعة ، وحان موعد الامتحان وفاطمة تحاول بكل جهدها أن تكون في أتم استعداد ، وما بين أعباء العمل والمواصلات والمذاكرة ، بدأت تشعر بالإجهاد وبالضغط النفسي وبدأت أعصابها تهتز, فهي لأول مرة تخشي الامتحان, وكأنَّه مسألة حياة أو موت بالنسبة لها ، ولذا قررت أن تطلب أجازة عدة أيام من العمل فلم يتبق سوى أيام قليلة على الإمتحان.

ولحسن الحظ وجدت فاطمة تفهمًا من مديرها حيث منحها أربعة أيام أجازة قبل الامتحان الأول ، فتنفست الصعداء وهي تصعد إلى الدور المسؤولة عنه وحدها حيث كان زميلها متعبًا قليلاً ، وكانت في الواقع تستمتع بالوحدة حيث أنها لا تستطيع التركيز ولا تقدر على سمع ثرثرته المستمرة ، فهي لا تفكر سوى في الدراسة وفي كيف سترتب وقتها في الأيام القليلة المتبقية ، هل ستستطيع أن تتغلب على شعورها بالإجهاد؟ فهي تشعر برغبة شديدة في الارتياح ، وكلما دخلت إلى غرفة لتنظفها كلما راودها شعور غريب بالرغبة في الاستلقاء على السرير والغوص في نومٍ عميق حتي تتمكن من الاستمرار ومن بذل المجهود المطلوب منها.

ولأول مرة تقرر فاطمة أن تنهي عملها في ترتيب الغرف بأسرع وقت وأقل مجهود ، فهي لا تستطيع أن تولي كل تفاصيل العناية المطلوبة منها ، ولذا امتدت يدها إلي آخر

غرفة في الدور لتفتح الباب وهي تكاد تكون مغمضة العين ، لكنها تمني نفسها بأنها آخر غرفة ، وأنها في طريقها إلى الراحة.

ولفت نظرها عندما دخلت الغرفة وجود مسدس صغير مُلقً على إحديالكراسي ، فقد ذكَّرها هذا المسدس مرة أخري بأخيها وبالقرية وبأهل الصعيد ، فازداد شعورها بالضيق والضغط النفسي فهي في غنى عن ذلك الآن ، وقد أدهشها قليلًا جراءة صاحب المسدس الذي تركه في الغرفة الخالية بمثل هذا الإهمال.

لكن دهشتها سرعان ما زالت عندما سمعت باب الحمام يُفتح وشعرت أن هناك شخصًا ما في الغرفة ، لابد وأنه نسي أن يضع علامة عدم الإزعاج على الباب وترك علامة النظافه مكانها. شعرت بارتباك شديد وقررت أن تخرج قبل أن يشعر بها النزيل. فاستدارت لتخرج مسرعة وهي لا تدري إن كان الخطأ منها من فرط الإرهاق أم من النزيل!

- رايحه فين؟ خليكي عندك.

فاجأها صوت رجالي أجش شعرت أنها تعرفه.

- آسفة جداً.

وفوجئت بالرد في صورة يد قوية تمسك بكتفها لتوقفها ، فاستدارت منزعجة لتجد نفسها وجهًا لوجه مع أخيها عبد القوي.

وقبل أن تصرخ كان عبد القوي قد وضع يده على فمها ليسكتها.

- امسكي نفسك.

أمرها صائحًا.

- إنت إيه اللي جابك هنا؟

- جيت أشوفك.

- وعرفت مكاني إزاي؟

سألته بارتباك.

- مش ده المهم ، أهو عرفت وخلاص ، هو إنتي فاكرة إنك تقدري تهربي؟

- وعايز إيه دلوقتي؟

صاحت بغضب شديد.

- عايزك ترجعي معايا من سكات.

- أرجع فين؟

- ترجعي بلدك ودارك.

- ليه؟ عندك عريس تاني؟

سألته بتحدٍ.

- ابن عمك أولي بيكي.

- إبن عمي مين ؟

- عوض!!

- عوض متجوز وعنده عيال. ولا عاوز تبيعني له علشان يديك فدان مهر.

- لا عاوزه يستر الفضيحة اللي عملتيها ، هو الوحيد اللي ممكن يتجوزك علشان اسم العيلة.

- اسم العيلة زي ما هو ، وأنا ما عملتش حاجة غلط.

- بصي يا بنت أبويا

قال بحزم

- إحنا لغاية دلوقتي الناس فاهمة إنك عند خالتك ،أنا وعوض بس اللي عارفين الحقيقة ، وتعبنا لغاية ما لقيناكي ولازم ترجعي معايا.

- أنا مش هارجع يا عبد القوي.

ردت بغضب.

- كفاياكي بقي فضايح.

- هي فين الفضايح؟

- إنتي مش شايفه نفسك ، بقي بنت الحاج شديد وأخت الحاج عبد القوي تدخل أوض كل من هب ودب وتنظفها.

- أنتَ اللي رمتني على المر يا عبد القوي.

- أنا؟!!

- أيوه أنتَ ، أنتَ السبب في كل حاجة أنا فيها.

- طب يالا معايا. يالا بلاش كلام كثير.

- اسمع يا عبد القوي ، أنا فاضل يومين على الامتحان وما عنديش أي استعداد أضيع مجهود الشهور اللي فاتت.

- بلا امتحان بلا كلام فارغ ، تعالي معايا بالذوق ، يالا.

- مش هاجي ، ابعد عني وسيبني في حالي ، وكفاية اللي عملته لحد كده.

- عملت إيه؟

سألها باستغراب حقيقي.

- مش عارف عملت إيه ، بهدلتني وسرقتني وكسرت كلام أبوك.

- أنا سرقتك؟

تسائل بأعلى صوته وقد تملكه الغضب.

- أيوه سرقتني ، سرقت ميراثي وعايز تبيعني لأي حد ، هي دي الرجولة؟

ردت عليه بغضب مماثل.

- اخرسي.

صاح وقد انهال على وجهها بصفعة قوية.

- ابعد عني, ابعد عني.

صرخت فاطمة بخوف وغضب.

- مش هاسيبك يا فاطمة. كفاية فضايح.

- ابعد عني.

صرخت فاطمة بأعلى صوتها ، واستدارت لتخرج مسرعة من الحجرة ، لكن عبد القوي أمسك بها وبادرها بصفعة أخري ، فلم تستطع أن تفلت منه.

- حرام عليك

صرخت باكية وهي تشعر بإهانة شديدة

- كفاية كده ، كفاية سيبني في حالي سيبني أصلح اللي أقدر عليه ، أنا بكرهك بكرهك ، أنت جاي تعمل راجل عليا؟

- قلت لك إخرسي.

ورفع عبد القوي يده لينالها صفعة أخري ، لكن فاطمة كانت أسرع منه فهربت من أمام كفه وتفادت الصفعة ، وازداد شعورها بالإهانة والقهر ، وتملكها غضب جامح لا تستطيع السيطرة عليه. فلم تشعر بنفسها إلا وقد امتدت يدها إلى المسدس ، وأطلقت منه رصاصةاستقرت في صدر عبد القوي

ولم تصدق نفسها وهي تسمع أنينه وتراه يتهاوى أمامها.

ولم تصدق أكثر شعورها الداخلي بالارتياح ، فقد اقتصت لنفسها وتغلبت على الشعور بالقهر وليحدث ما يحدث فلا يهم شيء بعد ذلك.

ويظل دويّ الرصاص في أذنيها...

حقوق الطبع و النشر محفوظة